GHAZZALI

'UMDAT AL-
MUHAQQIQIN



هذا كتاب عمدة المحققين * وبرهان اليقين * من قامت له الحجة فى عالم الارواح * وعم به النفع فى عالم الاشباح * تاج الشريعة وصدرها وشمس الائمة وفخرها سيدى محمد بن محمد الغزالى لا زالت خدامته شرفى ومنوالى * سماه اسما يوازى معناه * ويناسب فضله ومبناه * وهو التبر المسبوك * فى نصيحة الملوك *

م

ولقد أحسن نادرة الزمان * المشار اليه بين الافاضل بالبنان المقتفى آثار سيد النبيين والمرسلين * شيخنا الشيخ أحمد المرصفى شرف الدين * حيث قال ارتجالا فى ذى المقام الرفيع * من له بنشر الشريعة الشرف على الجميع بحر السنة الراوى * شيخنا الشيخ حسن العدوى الحمزاوى *

لله در ملاذنا وهمامنا * حسن المقاصد جهبذ الاحبار
يسعى بجهد فى خدامة سادة * نفعوا الورى بصحيح الاخبار
كم من فنون ما علمت وجودها * الا بحضرة منبع الاسرار
فجزاه رب الفضل فضل ثوابه * حتى يزف لمنزل الابرار
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على انعامه وافضاله * والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين * أما بعد فانه سألني بعض الكبراء أن انقل هذا الكتاب وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية * الى الالفاظ العربية * فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته * ولم اغير شيأ من وضع الكتاب وصيغته * واجتهدت في تسهيل عباراته * وايضاح اشاراته * قصد الاستعمال الكلام * ليكون اقرب الى الافهام * بقدر ما بلغته بلاغته * وافصحت عنه فصاحته * وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب * (قال) الشيخ الامام شرف الائمة أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله * وهو مخاطب للسلطان محمد بن ملك شاه * رحمه الله * (اعلم) يا سلطان العالم * وملك المشرق والمغرب * ان الله أنعم عليك نعما ظاهرة *

وآلاء

وآلاء متكاثرة * يجب عليك شكرها * ويتعين عليك اذاعتها
ونشرها * ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه * وتقدست أسماؤه *
فقد عرض تلك النعم للزوال * وخجل من تقصيره يوم القيامة * وكل
نعمة تفنى عند الموت * فليس لها عند العاقل قدر * ولا عند
اللبيب خطر * لان العمر وان تطاولت مدته * لا ينفع طوله اذا
انقضى أمده * وفنى عدده فان نوحا عليه السلام عاش ألف
سنة ونيفا ومنذ موته الى الآن ستة آلاف سنة * وكأنه
لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام * وتدوم مدى الليالى
والايام * وهى نعمة الايمان الذى هو بذر السعادة المؤبدة * والنعمة
المخلدة * والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة * وزرع بذر
الايمان فى صفاء صدرك * واودعه قلبك وسرك * ومكنك من
تربية ذلك البذر * وامرك أن تسقيه بالطاعة حتى يصير شجرة *
أصلها فى قعر السفلى * وفرعها فى السموات العلى * كما قال عز من
قائل ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت
وفرعها فى السماء * واذا لم يثبت أصل شجرة الايمان ولم يكمل
فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت * وعواصف الفوت *
فتنقلع عند النفس الاخير * فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان *
ويلقى ربه بغير احسان * واعلم أيها الملك ان لهذه الشجرة عشرة
اصول وعشرة فروع * فأصلها الاعتقاد بالجنان * وفرعها العمل
بالاركان * وهذا الداعى لما صادف القبول من المجلس العالى *
شرح هذه العشرة الاصول * وهذه العشرة فروع * ليشتغل
سلطان العالم بتربية هذه الشجرة * وانما يصح له ذلك اذا أفرد يوما
من أيام الاسبوع لعبادة ربه تعالى والاشتغال فيه
بعمل الآخرة * وهو يوم الجمعة فانه عيد المؤمنين * وفيه ساعة
شريفة كل من سأل الله تعالى فيها حاجته بنية حاضرة * وسريرة

ظاهرة* فانه جل ذكره يقضي حاجته* ولا يخيب دعوته* وماذا عليك اذا أفردت من سبعة أيام يوما واحدا * بخدمة ربك فانه فى المثل لو كان لك عبد وأمرته أن يشتغل فى كل اسبوع يوما واحدا بخدمتك لتهب له تقصيره فى الايام الستة فخالفك ذلك العبد كيف كان حاله عندك مع أن العبد لست بخالقه وانما هو عبدك مجازا* وأنت أيها الملك مخلوق للخالق تعالى وعبده على الحقيقة فلم ترض من نفسك مالا ترضاه من عبدك فانو الصيام من ليلة الجمعة* فان أضفت اليه الخميس كان أولى وقم يوم الجمعة صبحا واغتسل والبس من الثياب ماله ثلاث صفات * أحدها أن يكون حلالا * وأن يكون مما تجوز فيه الصلاة* وأن لا يكون ابريسما * فى الصيف الدبيقي والقصب والنوري* والكتان* وفى الشتاء الخز والقطن والصوف الرومي* وكل ثوب على غير هذه الصفة فان الله تعالى لا يرضاه* وصل الصبح فى جماعة * ولا تتكلم الى أن تطلع الشمس* ولا تحوّل وجهك عن القبلة* وخذ السبحة فى يدك قل لا اله الا الله محمد رسول الله ألف مرة* فاذا طلعت الشمس فأمر قارئا يقرء عليك هذا الكتاب * وكذلك فليقرء عليك فى كل جمعة ليحصل فى محفوظك * فاذا فرغ القارئ من الكتاب* فصل أربع ركعات* وسبح الى وقت الضحى فان ثواب هذه الصلاة عظيم * وخاصة فى يوم الجمعة* وبعد ذلك ان كنت على تخت السلام او كنت فى الخلوة فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد متواترا* ومهما قدرت أن تتصدّق فى هذا اليوم فتصدّق واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الاسبوع لله تعالى ليجعل الله باقى الاسبوع لك ويكفر عنك*

(ابتداء قاعدة الاعتقاد الذى هو أصل الايمان)

اعلم ايها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع

مافى العالم* وأنه واحد لا شريك له* فرد لا مثل له* كان فى الازل وليس لكونه زوال* ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء* وجوده فى الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج* وليس له الى أحد احتياج* وجوده به ووجود كل شئ به*

(الاصل الثانى فى تنزيه الخالق تعالى)

اعلم أن البارى تعالى ليس له صورة ولا قالب* وانه تعالى لا ينزل ولا يحل فى قالب* وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم* وعن لماذا ولم* وأنه لا يشبهه شئ* وكلما يخطر فى الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين* وهو خالقها فلا يوصف بها وانه تعالى جده ليس فى مكان ولا على مكان فان المكان لا يحصره* وكل ما فى العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره* فانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته* وأنه تقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وأنه متصف بالصفة التى كان عليها فى الازل* ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه متقدس عن صفات المخلوقين* منزه وهو فى الآخرة مرئى كما نعلمه فى الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك نراه فى الآخرة بلا مثل ولا شبه* لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا* ليس كمثله شئ*

(الاصل الثالث فى القدرة)

وأنه تعالى على كل شئ قدير* وان قدرته وملكه فى نهاية الكمال* ولا سبيل اليه للعجز والنقصان* بل ما شاء فعل وما يشاء يفعل* وان السموات السبع والكرسى والعرش* فى قبضته وقدرته

وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لا ملك الا ملكه

(الاصل الرابع فى العلم)

وانه تعالى عالم بكل معلوم * وعلمه محيط بكل شئ وليس شئ من العلى الى الثرى * الا وقد أحاط به علمه * لان الاشياء بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت * وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار * وقطرات الامطار * وورق الاشجار * وغوامض الافكار وان ذرات الرياح والهوى * فى علمه ظاهرة مثل عدد نجوم السماء

(الاصل الخامس فى الارادة)

فان جميع ما فى العالم بارادته ومشيئته * وليس من شئ قليل أو كثير صغيرا وكبير * خير أو شر * نفع أو ضر * زيادة أو نقصان * راحة أو نصب * صحة أو وصب * الا بحكمته وتدبيره * ومشيئته * وتقديره * ولو اجتمع الجنّ والانس والملائكة والشياطين على أن يحرّكوا فى العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوّته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء كان * وما لا يشاء لا يكون ولا يرد مشيئته شئ ومهما كان ويكون وهو كائن فانه بتدبيره وتسخيره

(الاصل السادس فى أنه سميع بصير)

وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع لكل مسموع بصير بكل مرئى وان القريب والبعيد * فى سمعه متماثل * والضياء والظلام فى بصره متماثل شئ واحد وانه يرى دبيب النملة فى الليلة المظلمة * ولا يخفى عنه ولا يعزب عن سمعه صوت الدودة تحت اطباق الارض وان سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين وكما ان علمه لا يصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدّة يقول للشئ كن فيكون

(الاصل السابع فى الكلام)

وان

وان أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب * ومهما أخبر به من وعد او وعيد فانه حق وأمره كلامه وكما أنه عالم قدير سميع بصير فهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان * ولا فم ولا اسنان والتوراة والقرآن والانجيل والزبور والكتب المنزلة من السماء على الانبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفته * وكل صفاته قديمة لم تزل وكما أن الكلام عند الآدمى حرف وصوت فكلام الله منزه عن الحرف والصوت

(الاصل الثامن فى افعاله تعالى)

وان جميع ما فى العالم مخلوق له * وليس معه شريك ولا خالق * بل هو الخالق الواحد ومهما كان من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتمكن الظلم من أفعاله * لان الظالم هو الذى يتصرف فى ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا فى ملكه * وليس معه مالك سواه * وكل ما كان و يكون وهو كائن فهو ملك وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف * لكن له الحكم والامر فى كل أفعاله * وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضاء بقضائه تعالى

(الاصل التاسع فى ذكر الآخرة)

وانه تعالى خلق العالم من نوعين * من شخص وروح * وجعل الجسد منزلا للروح * لتأخذ زاد الآخرة المدة من هذا العالم * وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون فى الجسد * وآخر تلك المدة هو اجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان * فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد * واذا وضع الميت فى قبره اعيدت روحه الى جسده * ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان عظيمان * فيسألانه من ربك ومن نبيك فان استعجم ولم يجب

عذابه وملئ قبره حيات وعقارب * ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الى الجسد * وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على الخلائق * فينظر كل انسان فى كتابه فيرى أعماله ويشاهد افعاله * ويعلم مقدار طاعته ومعصيته فتوزن أعماله فى ميزان الاعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة واحد من الشفرة * فكل من كان فى هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة * وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط وجازه فى راحة واستراحة ومن لم يكن على السريرة المحمودة والاعمال الرشيدة * وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق على الصراط ولا يهتدى الى الجواز ويقع فى جهنم * والكل يوقفون على الصراط * ويسألون عن افعالهم * فيسأل الصادقون عن صدقهم * ويمتحن المنافقون والمراءون ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب * وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة * وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمحاققة * ثم يسحب الكفار الى جهنم بحيث لا يجدون خلاصا * ويدخل أهل الاسلام المطيعون الى الجنة * ويؤمر بالعصاة الى النار * فكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من الصلحاء عفى عنه * وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار اثمه * وعذب بمقدار جرمه * ثم دخل الجنة ان كان قد سلم ايمانه الى الآخرة

*(الاصل العاشر فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير * وجعل افعال الانسان وأحواله واكتسابه وأعماله * منها ما هو سبب لشقاوته * ومنها ما هو سبب لسعادته * والانسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه * خلق الله تعالى بحكمة فضله ورحمته * وطوله ومنته * ملائكة وبعثهم

الى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الازل وهم الانبياء عليهم السلام فأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم اخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وافضل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبي بعده وأمر الخلائق من الجن والانس بطاعته وبمتابعته وجعله سيد الانبياء وجعل أصحابه خير أصحاب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

(ذكر فروع شجرة الايمان)

اعلم ايها السلطان انه كل ما كان في قلب الانسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الايمان وما كان جاريا على اعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع ذابلا ذاويا دل على ضعف الاصل فانه لا يثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب والاعمال التي هي فروع الايمان هي تجنب المحارم وأداء الفرائض وهي قسمان أحدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب والعفة عن الحرام والاخرى ما بينك وبين الخلق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم والاصل في ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة امره والازدجار بزجره ما يختار ان يعتمده عبدك في حقك وان تعمل فيما بينك وبين الناس ما تريد ان يعمل معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته واعلم انه ما كان بينك وبين الخالق تعالى فان عفوه قريب وانه غفور رحيم اما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك الا ملك عمل بالعدل في رعيته لتعلم كيف يطلب العدل

اميرا اوعريفا اوكاتبا اوعوانيا اوجابيا فلما تكلم هذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فأمر عمر رضي الله عنه بطلبه فطلب فلم يوجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فانهم اقوام يعلقون يوم القيامة من السماء بذوائبهم يودون لولم يعملوا عملا قط وقال صلى الله عليه وسلم مامن رجل ولي امر عشرة من الناس الا جيئ به يوم القيامة ويداه مغلولتان تغل الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله سيئا غل آخر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويل لقاضي الارض من قاضي السماء حين يلقاه الا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل مع اقاربه ولم يبدل حكما بخوف اوطمع لكن يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينه ويحكم بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله تعالى انتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي أمرت به فيقول يارب لانهم عصوك وخالفوك فيقول لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي ثم يقول لآخر لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به فيقول يارب رحمتهم فيقول الله كيف تكون أرحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص فاحشوا بهما زوايا جهنم وقال حذيفة اليماني رضي الله عنه انا لا اثني على أحد من الولاة سواء كان صالحا أو غير صالح لانني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله الى الصراط ان ينفضهم في النار مثل من جار في الحكم وأخذ رشوة على القضاء وأعار سمعه لاحد الخصمين دون الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون في النار سبعين سنة حتى يصلون الى قرارها

قد

قد جاء في الخبر ان داود عليه السلام كان يخرج في الليل متنكرا
بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل كل من يلقاه عن سيرة داود سرا
حتى فجاءه جبريل عليه السلام يوما في صورة فقال له ما تقول
في داود فقال نعم الرجل داود الا انه يأكل من بيت المال ولا يأكل
من كدّه وتعب بدنه فعاد داود الى محرابه باكيا حزينا وقال الهي
علمني صنعة اكل بها من تعبي وكد بدني فعلمه الله تعالى عمل
الزرد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كل ليلة يطوف مع
العسس حتى يرى خللا يتداركه وكان يقول لو تركت عنز
جربا الى جانب ساقية لم تدهن لخشيت ان أسئل عنها يوم
القيامة فانظر ايها السلطان الى عمر رضي الله عنه مع احتياطه
وعدله وما وصل احد من الآدميين الى تقواه وصلابته كيف
يتفكر ويتخوف من اهوال يوم القيامة وانت قد جلست لاهيا
عن احوال رعيتك غافلا عن اهل ولايتك قال عبد الله بن عمر
وجماعة من اهل بيته اننا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر في المنام
فرايته في المنام بعد اثني عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو
متلفع بازار فقلت يا امير المؤمنين كيف وجدت ربك باي
حسنا لك جازاك فقال يا عبد الله كم لي منذ فارقتكم فقلت اثنا
عشر سنة فقال منذ فارقتكم كنت في الحساب وخفت ان أهلك
ألا انّ الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر رضي الله عنه
ولم يكن له في دنياه من أسباب الولاية سوى درة

(حكاية)

ارسل قيصر رسولا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لينظر أحواله
ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال أين ملككم فقالوا
ما لنا ملك بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول
في طلبه فرآه نائما في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد

وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه الى ان قد بل الارض
فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل يكون جميع
الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر
عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم انه لا يزال ساهرا خائفا
أشهد ان دينك الدين الحق ولولا اننى أتيت رسولا لاسلمت ولكنى
اعود بعد هذا واسلم أيها السلطان خطر الولاية عظيم وخطبها
جسيم والشرح فى ذلك طويل ولا يسلم الوالى الا بمقارنة علماء الدين
ويحرص على استماع نصيحتهم وان يحذر من رؤية علماء السوء
يحرصون على الدنيا فانهم يثنون عليك ويعرفونك ويطلبون
رضاك طمعا فيما بيدك من خبيث الحطام ونسل الحرام ليحصلوا
منه شيأ بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذى لا يطمع فيما عندك
من المال وينصفك فى الوعظ والمقال كما يقال ان شقيقا البلخى دخل
على هارون الرشيد فقال انت شقيق الزاهد فقال له انا شقيق
ولست بزاهد فقال له اوصنى فقال له ان الله تعالى قد اجلسك
مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه واعطاك موضع
عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق
والباطل مثله واقعدك مكان ذى النورين وانه يطلب منك حياءه
وكرمه واقعدك موضع على بن ابى طالب وانه يطلب منك العلم
والعدل كما يطلب منه فقال له زدنى من وصيتك فقال نعم اعلم ان
لله تعالى دارا تعرف بجهنم وانه جعلك بواب تلك الدار واعطاك
ثلاثة اشياء بيت المال والسوط والسيف وامرك ان تمنع الخلق من
دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال
ومن خالفك فيما أمر به تعالى فاذبه بهذا السوط ومن قتل نفسا بغير
حق فاقتله بالسيف باذن ولى المقتول فان لم تفعل ما أمرك فأنت
تكون الزعيم لاهل النار والمتقدم لاهل دار البوار فقال زدنى

من

من الوصية فقال انما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال فى العالم كمثل السواقى فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقى واذا كان المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقى خرج هارون الرشيد والعباس ليلا الى زيارة الفضيل بن عياض فلما وصلا الى بابه وجداه يتلو هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون معنى الآية أيظنون ان الذين يكسبون الخطايا ويعملون الاعمال المذمومة ان نساوى بينهم فى الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون كلا ولما فقال هارون ان كنا جئنا لنطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب فطرق بابه وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل ما يصنع عندى أمير المؤمنين فقال له أطع أمير المؤمنين وافتح الباب وكان ليلا والمصباح تقد فطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال له يا امير المؤمنين استعدّ لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة ويطلب منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء شديدا فقال له العباس مهلا يا فضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل يا هامان انت وقومك اهلكتموه وتقول لى مهلا فقد قتلته فقال الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وقد جعلنى فرعون ثم وضع الرشيد بين يدى الفضيل ألف دينار وقال هذه من وجه حلال من صداق امى ومهرها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يدك عما فيها وتعود الى خالقك وانت تلقيه الىّ ولم يقبلها وخرج من عنده سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظى فقال صف لى العدل فقال كل مسلم أصغر منك فكن له أبا

ومن كان اكبر منك سنا فكن له ولدا ومن كان مثلك فكن له أخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه واياك أن تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار حضر بعض الزهاد بين يدى خليفة الوقت فقال له عظنى فقال يا أمير المؤمنين انى سافرت الى الصين وكان ملك الصين قد اصابه الصمم وذهب سمعه فرأيته يبكى و يقول ما أبكى لزوال سمعى وانما ابكى لاجل مظلوم يقف ببابى ويستغيث ولا اسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصرى سالم وامر منادياينادى كل من كانت له ظلامة فليلبس عليه ثوبا أحمر وكان يركب الفيل كل يوم فمن رأى عليه ثوبا احمر دعاه واستمع شكواه وانصفه من خصمه فانظر يا أمير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر الى عباد الله تعالى وانت مؤمن ومن اهل بيت الرسول فانظر كيف تكون شفقتك حضر ابو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظنى فقال من عهد آدم الى يومنا هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدنى فقال أنت أول خليفة يموت فقال زدنى فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجى وان كان الله عليك فمن ترجوا فقال حسبى الله بما قلت كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتذكر يوما وقال قد تنعمت فى الدنيا طويلا فكيف يكون حالى فى الآخرة وأنفذ الى ابى حازم وكان عالم اهل زمانه وازهدهم وقال ابعث لى شيأ من قوتك الذى تفطر عليه فانفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطورى فلما رأى سليمان ذلك بكا واثر فى قلبه الخشوع تأثيرا كثيرا فصام ثلاثة ايام وطوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه فى تلك الليلة تغشى اهله فكان منها عبد العزيز وجاء منه عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه فى عدله * وانصافه وزهده واحسانه * وكان على

طريقة

طريقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل ان ذلك ببركه نيته وصيامه واكله من ذلك الطعام سئل عمر بن عبد العزيز ما كان بدء توبتك فقال كنت يوما اضرب غلا مالى فقال اذكر تلك الليلة التى تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك الكلام فى قلبى رآى بعض الاكابر هارون الرشيد فى عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول الهى أنت أنت وأنا انا دأبى كل يوم أن أعود الى عصيانك ودابك أن تعود على بمغفرتك ورحمتك فقال الكبراء انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدى جبار السماء سأل عمر بن عبد العزيز يوما لابى حازم الموعظة فقال له ابو حازم اذانمت فضع الموت تحت رأسك وكلما تختار ان يأتيك الموت وانت مصر عليه فافعله والزمه وكلما لا تؤثران يأتيك الموت وانت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريبا فينبغى لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وان يقبل الموعظة التى وعظ غيره وكل مارآى عالما سأله ان يعظه وينبغى للعالم ان يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم فى ظلمهم

(الاصل الثالث)

أن لا تقنع بدفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك وأصحابك وعمالك ونوابك ولا ترى لهم بالظلم فانك تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلم نفسك كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عامله ابى موسى الاشعرى اما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان اشقى الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضرا فأكلت منه حتى سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتوكل وفى التوراة مكتوب كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت

عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه وأخذ به وعوقب عليه وينبغى
للوالى أن يعلم انه ليس أحد أشد غبنا ممن باع دينه وآخرته بدنيا
غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون
الوالى ويحسنون الظلم عنده فيلقونه فى النار ليصلوا الى اغراضهم
واى عدو اشد عداوة ممن يسعى فى هلاكك لاجل دراهم حرام
يكتسبه ويحصله وفى الجملة ينبغى لمن اراد حفظ العدل على الرعية
أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال اهله وأولاده ومنزله
ولا يتم لهم ذلك الا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط
شهوته وغضبه على عقله ودينه ولا يجعل عقله ودينه اسير شهوته
وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه أسير عقله ودينه وأكثر الخلق
فى خدمة شهواتهم يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من
الشهوات ولا يعلمون ان العقل من جوهر والملائكة من جند
البارى جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن
يجعل جند الله وملائكته أسراء جند الشيطان كيف يعدل فى
غيرهم واول ماتظهر شمس العدل فى الصدر ثم تنتشر نورها فى
اهل البيت وخواص الملك فيشتد شعاعها الى الرعية ومن طلب
الشعاع من غير الشمس فقد طلب وطمع فيما لا ينال واعلم ايها
السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل ان
ترى الاشياء كما هى وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا
ان كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فانظر أى شئ مقصودك من
الدنيا فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم ان
هذه شهوة بهيمية فى صورة آدمى فان الشره الى الاكل من
من طبائع البهائم وان كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة
فى صورة رجل لان التزين والرعونة من أعمال النساء وان كان
مقصودك ان تمضى غضبك على أعدائك فأنت اسد وسبع فى صورة

آدمى

آدمى لان احضار الغضب من طبائع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك الناس فأنت جاهل فى صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى تناول شهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا ارجافا أن الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفى اى موضع علموا الدرهم فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هى ضحكة والعاقل من نظر ارواح الاشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال ماذكرناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا السبب كان رأس مال كل السعادات العقل

(الاصل الرابع)

الوالى فى الاغلب فيكون متكبرا ومن التكبر تحدث غلبة السخط الداعية الى الانتقام والغضب وغول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا علاج ذلك فى كتاب الغضب فى ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغى ان تميل الى جانب العفو وتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عادة ماثلت السباع

(حكاية)

ابو جعفر المنصور أمر بقتل رجل والمبارك بن الفضيل حاضر فقال يا امير المؤمنين اسمع منى خبرا قبل ان تقتله روى الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد نادى مناد من كان له عند

الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى عن الناس فقال اطلقوه فانى قد عفوت عنه وأ كثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون فى سفك دمه قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا اذا ذكرك رجل بشئ وقال فيك صحيحا فاشكر الله تعالى وان قال كذبا فازدد فى الشكر فانه يزيد فى ديوان اعمالك وانت مستريح يعنى ان حسناته تكتب فى ديوانك وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوى شجاع فقال وكيف ذلك فقالوا انه يقوى بكل احد وما صارع احدا الا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وانصف فى حال رضاه وغضبه وعفى عند القدرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب خرج زين العابدين رضى الله عنه يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال ياهذا ما لا تعرفه منى أكثر مما عرفته فان كان لك حاجة فاذكرها فخجل ذلك الرجل واستحي فخلع زين العابدين عليه قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أنك ابن رسول الله وروى ان زين العابدين استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت ندائى فقال بلى قال فلم لا اجبتنى فقال أمنت منك وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله اذ قد أمن منى عبدى ويروى عن زين العابدين انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت هذا فقال لكسرتها عمدا الا غضبك فقال له وأنا أغيظ الذى علمك وهو ابليس اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ويروى عنه أيضا ان رجلا سبه فقال له زين العابدين ياهذا بينى وبين جهنم عقبة ان أنا جزتها فما أبالى بما قلت وان أنا لم أجزها فانا اكثر مما تقول وقال رسول

صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم
القائم ويكون رجل يكتب في جريدة الجبارين ولا ولاية له ولا
حكم الا على أهل منزله وقال صلى الله عليه وسلم باب لا يدخله الا
من اتبع غضبه بخلاف الشرع ويروى ان ابليس اتى موسى
عليه السلام فقال يا موسى اعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لى من ربى
حاجة فقال موسى وما الثلاثة اشياء فقال يا موسى احذر من الحدة
والحرد فان الحردان يكون خفيف الرأس وانا العب به كما يلعب
الصبيان بالكرة واحذر من النساء فانني ما نصبت للخلق شركا
اعتمد عليه مثل النساء واحذر من البخل فانني افسد على البخيل
دينه ودنياه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر
على ان يكظمه ملأ الله قلبه بالامن والايمان ومن لم يلبس ثوبا
طويلا خوفا من التكبر والخيلا وتواضع لله البسه الله تعالى حلل
الكرامة وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يغضب وينسى غضب
الله تعالى وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى عملا
ادخل به الجنة قال لا تغضب قال وماذا قال استغفر الله بعد صلاة
العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة فقال مالى
ذنوب سبعين سنة فقال لامك فقال مالامى ذنوب سبعين سنة
فقال لابيك فقال وليس لابى ذنوب سبعين سنة فقال لاخوتك
وروى ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يوما يقسم مالا فقال رجل ما هذه القسمة لله يعنى انها
ليست بانصاف فحكيت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فغضب واحمر وجهه ولم يقل شيأ سوى أن رحم الله اخى موسى فانه
اوذى وصبر على الاذى هذه الجملة والحكايات والاخبار تقنع
فى نصيحة الولاة واذا كان اصل ايمانهم ثابتا اثر فيهم هذا القدر فان لم
يؤثر ما ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلو قلوبهم من الايمان وانه ما بقى

من ايمانهم الا الحديث باللسان عامل يتناول من اموال المسلمين فى كل سنة كذى الف دينار ودرهم لاجل غيره ويبقى فى ذمته ويطالب بها فى يوم القيامة ويحصل بمنفوعها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والمآب كيف يؤثر عنده هذه الاسباب وهذا نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف النجدة

(الاصل الخامس)

فى كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك تقدر انك واحد من جملة الرعية وان الوالى سواك فكلما لا ترضاه لنفسك لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت اهل ولايتك ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا يوم بدر فى ظل فهبط جبريل عليه السلام فقال اتقعد فى الظل واصحابك فى الشمس فعوتب بهذا القدر وقال صلى الله عليه وسلم من احب النجاة من النار والدخول الى الجنة فينبغى ان يكون اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة وكلما ما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وفى قلبه سمة سوى الله تعالى فليس من الله فى شئ ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

(الاصل السادس)

أن لا تحقر انتظار ارباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا تشتغل بنوافل العبادة كان عمر بن عبد العزيز يقضى حوائج الناس فجلس الى الظهر فتعب ودخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما الذى يؤمنك أن يأتيك الموت فى هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة وانت مقصر فى حقه فقال صدقت ونهض وعاد الى مجلسه

(الاصل السابع)

انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة فى جميع الاشياء فلا عدل بلا قناعة سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعض الصالحين هل رأيت من أحوالى شيئا كرهته فقال سمعت أنك وضعت رغيفين على مائدتك وان لك قميصين أحدهما لليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين شئ فقال لا والله فقال ان هذين أيضا لا يكونان

(الاصل الثامن)

انه مهما أمكنك أن تعمل الامور بالرفق فلا تعملها بالشدة والعنف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل وال لا يرفق برعيته لا يرفق به يوم القيامة ودعا صلى الله عليه وسلم فقال اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعف عن كل وال يعف عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم الولاية والامر حسنتان لمن قام بحقهما وسيئتان لمن قصر فيهما كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بنى امية فسأل يوما أبا حازم وكان من العلماء ما التدبير فى النجاة من امور الخلافة فقال ان تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال وان تضعه فى موضع حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب فى نعيم الجنان ويرهب من عذاب النيران

(الاصل التاسع)

أن تجتهد فى ان يرضى عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه خير امتى الذين تحبونهم ويحبونكم وشر امتى الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم وينبغى للوالى ان لا يغتر بكل من يصل اليه واثنى عليه وان يعتقد

أن جميع الرعية مثله راضون عنه فان الذى يثنى عليه من خوفه منه يثنى عليه بل ينبغى ان يرتب معتمدين يسئلون عن أحواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من ألسنة الناس

(الاصل العاشر)

ان لا يطلب رضا احد من الناس بمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول انني أصبح كل يوم ونصف الخلق على ساخط ولا بدّ لكل من يؤخذ منه الحق ان يسخط ولا يمكن ان يرضى الخصمان وأكثر جهلا من ترك رضى الحق لاجل رضى الخلق كتب معاوية رضى الله عنه الى عائشة رضى الله عنها أن عظيني عظة مختصرة فكتبت اليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب رضاء الله فى سخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه الناس ومن طلب رضى الناس بسخط الله مثل أن لا يامرهم بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير اجرته والمرأة مهرها سخط الله عليه واسخط عليه الناس

(بيان العينين اللتين هما مشرب شجرة الايمان)

واذا عرفت اصول شجرة الايمان وعلمت فروعها فاعلم ان هناك عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاولى معرفة الدنيا وما هيتها ولم اوجد فيها الانسان * اعلم ايها السلطان ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فأول منازله بطن امه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضى من عمر الانسان كالمرحلة وكل شهر ينقضى عنه كاستراحة المسافر فى سفره وكل أسبوع فكقرية تلقاه فى طريقه وكل يوم فكفرسخ يقطعه وكل نفس

فكم خطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فنى فيها زمانه ونسى المنزلة التى اليها مصيره وهى مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذى لا يشتغل فى دنياه الا باستعداد زاده لمعاده ويكتفى منها بقدر حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمنى ان تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره فانية رمادا وترابا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فانما نصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فحلالها حساب وحرامها عذاب ان كان قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب وان كان قد جمعه من حرام اوجب عليه العقاب وكان اشد عليه من حسرة حلول العذاب به فى حفرته وآخرته ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما بحضرة الديان فلا وجه ليأسه من الرحمة والغفران فان الله غفور رحيم جواد كريم * واعلم ايها السلطان ان راحة الدنيا ايام قلائل واكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الدنيا الاخرة التى هى الدائمة الباقية والملك الذى لا يفنى ولا نهاية له فسهل على العاقل ان يصبر فى هذه الايام القلائل لينال راحة دايمة بلا انقضاء لو كان لانسان معشوقة وقيل له ان كنت فى هذه الليلة تزورها فانها لا تعود تراها ابدا وان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك الف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه وان كان عشقه لها عظيما وصبره عنها اليما لكن يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة لينال قربها الف ليلة وهذه الدنيا ليست واحدة من الف من مدة الآخرة بل ليست بشئ فى جنب الاخرة ولا نسبة بينهما لان الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها وقد افردنا فى صفة الدنيا كتابا لكن نقنع الان بما نورده من

احوال الدنيا وقد اوضحنا حالها على عشرة امثال

(المثال الاول في بيان سحر الدنيا)

قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وأول سحرها تريك كأنها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها ساكنة وهي هاربة نافرة عنك على الدوام وانما تنسلّ على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رأيته حسبته ساكنا وهو يرد دائما فكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تدعوك وتهرب منك وانت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر

(المثال الثاني)

انها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خادعة للرجال حتى اذا عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم رآى عيسى عليه السلام الدنيا في مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال ما توا عنك ام طلقوك فقالت بل انا قتلتهم وافنيتهم فقال يا عجباه لها وللحمقا الاخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون

(المثال الثالث)

ومن سحرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محنها وقبائحها في باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين

وتجمل لتفتتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا غطاءها وخمارها وألقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من قبائحها وعاينوا من فضائحها وقد جاء فى الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة فى صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فغرت عن أنيابها وكشرت عن اسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ما هذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التى كنتم عليها تحاسدون ولاجلها تحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون ارحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول الهى اين احبابى فيؤمر بهم فيلقون معها فى النار

(المثال الرابع)

أن يحسب الانسان كم كان من الازل قبل ان يوجد فى الدنيا وكم تكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التى بين الازل والابد وهى مدة حياته فى الدنيا فيعلم مثال الدنيا كطريق المسافر اوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزلة وكل شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولآخر اقل واكثر وهو قاعد كانه ساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح وقاطن لا ينزح قد اشتغل بتدبير اعمال لا يحتاج اليها بعد عشرة سنين وربما حصل بعد عشرة ايام فى التراب

(المثال الخامس)

اعلم ان مثل الدنيا وما يحتقب اهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضايح التى يشاهدونها فى الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين الى ان ساء هضمه وهاضت معدته فراى فضيحة من هلاك معدته ونتونة نفسه وكثرة برازه حاجته

فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته فكذلك كلما الف الانسان
لذات الدنيا كانت عاقبته اصعب وتبين له ذلك عند نزعه
وخروج روحه لا لمن كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجواهر
وجوار وغلمان وكرم وبستان كان ألم فراق روحه عليه اصعب
من الم ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب لا يزول بالموت
بل يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت

(المثال السادس)

اعلم ايها السلطان ان امور الدنيا اول ما يبداء بطلبها الانسان
قريبة مختصرة يخاف ان شغلها لا يطول وربما كان من بعض
اشغالها واحوالها امر يتسلسل منه مائة امر وينفق فيه بضاعة
العمر قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا ولا يزال يشرب منه الى ان يهلك ولا
يروى قال النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يمكن من خاض البحران
لا يناله البلل كذا لا يمكن من دخل فى امر الدنيا ان لا يتدنس

(المثال السابع)

مثل من حصل فى الدنيا كمثل ضيف دعى الى مائدة وعادة المضيف
ان يزين للاضياف داره ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجا اثر فوج
ويضع بين يدى اضيافه طبقا من ذهب مملوءا بالجواهر ومجمرة
من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا وليتبخروا وينالهم طيب
رائحتها ثم يعاد الطبق والمجمرة بحالهما لكنهما ليدعوا غيرهم
كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور
وتطيب وانطلق ولم يطمع فى ان يتناول المجمرة والطبق وتركهما
بطيب نفس من قلبه وشكر لصاحب البيت وربه وانصرف راشدا
ومن كان احمق ابله توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد أعد له وانهم

يريدون

يريدون ان يهبوه ماله فلما هم بالخروج من الدار اخذ الطبق والمجمرة فاستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقاله اذ ظهر ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة يتزودون فيها لطريقهم ولا يطمعوان فيما في الدار

(المثال الثامن)

مثل اهل الدنيا واشتغالهم واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فمضوا ونفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا الى المركب فوجدوا الاماكن خالية فجلسوا في أطهر اماكنه وأوفقها واطيب مواضعه وارفقها ومنهم قوم نظروا الى عجايب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها واثمارها وروضها واشجارها ويسمعون ترنم اطيارها ويتعجبون من حصبائها الملونة واحجارها فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا في اضيق مواضعه واظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة وحملوها معهم الى المركب فلم يجدوا مكانا فقعدوا في اضيق المواضع وحملوا ما استصحبوا من تلك الاحجار على اعناقهم فلم يمض الا يوم او يومان حتى تغيرت الوان تلك الاحجار واسودت وفاح منها اكره رائحة ولم يجدوا مخلصا من الزحام ليلقوا ثقالها عن اعناقهم فندموا على ما فعلوا وحصلوا بثقل الاحجار على اعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجايب تلك الجزيرة تنزهوا وفي الرجوع لم يتفكروا حتى صار المركب

فبعدوا عنه وانقطعوا فى اماكنهم وتخلفوا اذلم يصغوا الى المنادى ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من اكلته السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال جل جلاله الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة أى ركنوا اليها واما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان ولكنهم لم يكفوا ايديهم عن الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته الى ان ثقلت اوزارهم وكثرت اوساخهم وآصارهم

(المثال التاسع)

روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما يا ابا هريرة تريد ان اريك الدنيا فقلت نعم فاخذ بيدى وانطلق حتى وقف بى على مزبلة فيها رؤس الادميين ملقاة وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الادميين فقال يا ابا هريرة هذه رؤس الناس التى تراها كانت مثل رؤسكم كانت مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون من طول الاعمار ما ترجون وكانوا يجدّون فى جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدّون فاليوم ثوت عظامهم وتلاشت اجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت اثوابهم التى كانوا يتزينون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزين فاليوم قد القتها الريح فى النجاسات وهذه عظام دوابهم التى كانوا يطوفون اقطار الارض على ظهورها وهذه النجاسات كانت اطعمتهم اللذيذة التى كانوا يحتالون فى تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد القيت عنهم بهذه الفضيحة التى لا يقربها احد من نتنها فهذه جملة احوال

الدنيا كما تشاهد وترى فمن اراد ان يبكى على الذنب فليبك فانها موضع البكاء قال ابو هريرة فبكا جماعة الحاضرين

(المثال العاشر)

كان فى زمن عيسى روح الله عليه السلام ثلاثة سائرين فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا فليبتاع لنا طعاما فمضى ليأتيهم بطعام فقال الصواب ان أجعل لهما فى الطعام سما قاتلا ليأكلوه فيموتوا وانفرد انا بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام واتفق الرجلان الآخران انهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه واكلا من الطعام فماتا فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك المكان فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الديان

(العين الثانية فى معرفة النفس)

اعلم ايها السلطان العالم ان بنى آدم طائفتان طائفة نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا فى النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب اعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذى يدخل معهم من الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على جميع الخلق وهى على الملوك واهل الدنيا اوجب لانهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلق وأنفذوا الى الناس الغلمان بالتلبيسات وازعجوا الخليقة وادخلوا فى قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يقال له عزرائيل يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد من مطالبته وتشتيته وكل

موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلى السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا الموكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفسا واحدا وعجائب احواله كثيرة الا اننا نذكر من احواله خمس حكايات

(الحكاية الاولى)

وهى مارواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود واسلم

روى ان ملكا عظيما اراد ان يركب يوما فى جملة اهل مملكته ويرى الخلائق عجايب زينته فامر امراءه بالركوب ليظهر للناس سلطنته فأمر باحضار فاخر الثياب وأمر بعرض خيوله الموصوفة وعتاقه المعروفه فاختار من جملتها اجوادا يوصف بالمشى والسبق فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض الحصان بين عسكره ويفتخر بتيهه وتبختره فجاء ابليس فوضع فمه على منخره ونفخ هواء الكبر فى انفه فقال فى نفسه من فى العالم مثلى وجعل يركض بالكبرياء ويزهو بالخيلاء ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثه فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدرى بعنان من قد مسكت فقال لى اليك حاجة فقال له اصبر الى ان انزل فقال حاجتى هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها سر لا أقولها الا فى أذنك فاصغى بسمعه اليه فقال انا ملك الموت اريد اقبض روحك فقال امهلنى بقدر ما اعود الى بيتى وأودع اهلى واولادى وزوجتى فقال كلا لا تعود تراهم فانك ميت قد فنيت مدة عمرك واخذ روحه على ظهر الفرس فخر ميتا فعاد ملك الموت من هناك فأتى رجلا صالحا قد رضى ربه

عنه

عنه فقال له لي اليك حاجة وهي سر فقال الصالح قل حاجتك في
اذني فقال انا ملك الموت فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك
فانى كنت كثير الترقب لمجيئك ووصولك ولقد طالت غيبتك
وكنت مشتاقا الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل
فاقضه قال فليس لي شغل اهم من لقاء ربي فقال كيف تحب ان
اقبض روحك فاني امرت ان اقبض روحك كيف أثرت
واخترت فقال اتركني ريثما اتوضأ واصلي فاذا انا سجدت فخذ روحي
وانا ساجد ففعل ملك الموت ما امره ونقل الى رحمة ربه

(الحكاية الثانية)

يروى انه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من
كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ
لاكل ما جمعه فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا شامخا
يصلح للملوك والامراء والاكابر والعظماء وركب عليه بابين
محكمين واقام عليه الغلمان الاجلا والحرسة والاجناد والبوابين
كما أراد وأمر بعض الايام أن يصطنع له من أطايب الطعام وجمع
أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس
على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعتي نعم
الدنيا بأسرها والآن افرغي بالك وكلي هذه النعم مهنأة بالعمر
الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى
رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاة في عنقه معلقة
على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر
طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف
الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضعيف
ما هذا الحرص وسوء الادب اصبر الى أن نأكل ونطعمك مما يفضل
فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الى فلي اليه شغل مهم وأمر ملم

فقالوا للشيخ ايها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم عرفوه ماذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وحردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من أماكنهم بالسلاح ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا مكانكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت جلودهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ما اخذ ولا أتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين النعم التي جمعتها والاموال التي قد حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا الذي غرني وأضرني ومنعني عن عبادة ربي وكنت أظن انه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه ويبقى لاعدائي فانطق الله تعالى المال حتى قال لاى سبب تلعني العن نفسك فان الله تعالى جدّه خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي الى اخرتك وتتصدّق بي على الفقراء وتتزكى على الضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونا لك في اليوم الآخر وانت جمعتني وخزنتني وفي هواك انفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وانت بحسرتك وضرائك فاى ذنب لي فتسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل اكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام

(الحكاية الثالثة)

قال يزيد الرقاشي كان في بني اسرائل جبار من الجبابرة وبينما هو في بعض الايام جالس على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هايلة فلشدة خوفه من هجومه وهيبة قدومه وثب في وجهه وقال له من انت ايها الرجل ومن اذن لك في الدخول الى داري فقال امرني صاحب الدار وانا

الذى لا يحجبنى حاجب ولا احتاج فى دخولى على الملوك الى اذن ولا ارهب سياسة سلطان ولا يفزعنى جبار ولا لاحد من قبضتى فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده وقال انت ملك الموت فقال له نعم فقال اقسم عليك بالله الا ما امهلتنى يوما واحدا لا توب من ذنبى واطلب العذر من ربى وارد الاموال التى اودعتها خزائنى الى اربابها ولا اتحمل مشقة عذابه فقال كيف امهلك وايام عمرك محسوبة واوقاته مثبوتة مكتوبة فقال امهلنى ساعة فقال ان الساعات فى الحساب وقد غبرت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندى اذا نقلت الى لحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال مالى عمل قال له فلا جرم يكون مقيلك فى النار ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع وعلا الضجيج من اهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاءهم عليه اكثر وعويلهم اوفر

(الحكاية الرابعة)

يروى ان ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمائه فقال ذلك النديم يا نبى الله من كان هذا الرجل الذى دخل علينا فقال ملك الموت فقال اخاف ان يريد قبض روحى فخلصنى منه فقال كيف اخلصك فقال تأمر الريح ان تحملنى هذه الساعة الى اقصى بلاد الهند لعله يضل عنى ولا يجدنى فأمر سليمان الريح فحملته الى اقصى بلاد الهند فى الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على سليمان فقال له لاى سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل فقال كنت اتعجب منه لانى امرت ان اقبض روحه

بالهند وكان بعيدا عنها الى ان اتفق بحمل الريح له الى هناك ما قدره الله سبحانه وتعالى

(الحكاية الخامسة)

يروى ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على ابواب دورهم وهم كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذو القرنين اليهم رجلا يستدعي ملكهم فلم يجبه وقال مالي اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال له كيف حالكم فاني لا ارى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيأ من نعم الدنيا فقال أرى نعم الدنيا لا يشبع منها احد قط فقال لهم لم حفرتم القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لاننا نكره ان نجعل بطوننا مقابر الحيوان ولان لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فيها قحف رأس ادمي فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم ما كان من هذا قال لا قال كان صاحب القحف ملك من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستغرق زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا قحفه ثم مد يده ووضع قحفا اخر بين يديه وقال له اتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع يده على رأس ذي القرنين وقال ترى اي هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكا ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال ان رغبت في صحبتي فانني أسلم اليك وزارتي واقاسمك مملكتي

فقال مالى فى ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع الخلق أعداءك
بسبب المال والمملكة وجميعهم اصدقائى بسبب القناعة
والصعلكة فالله معك فالآن يجب ان تعلم حكايات النفس
الاخير وتتدبر بها وتتيقن معرفتها وتتصورها وينبغى ان تعلم
ان هذا الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون استماع ذكر الموت لئلا
يبرد حب الدنيا فى قلوبهم وتتنغص عليهم لذة مأكولهم
ومشروبهم وقد جاء فى الخبر ان من اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد
كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسى الموت وغفل عن ذكره
كان قبره حفرة من حفر النار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصف يوما ثواب الشهداء واجر السعداء الذين قتلوا فى معركة
حرب الكفار فقالت عائشة رضى الله عنها هل ينال مثل ثواب
من لم يمت شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الموت بكل يوم
عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم وقال صلى الله عليه
وسلم أكثروا من ذكر الموت فانه يمحوا الذنوب ويبرد حب الدنيا فى
القلوب وسئل صلى الله عليه وسلم من احزم الناس واعقلهم فقال
اعقل الناس أكثرهم للموت ذكرا واحزمهم واحسنهم له
استعدادا له شرف الدنيا وكرامة الاخرة ومن عرف الدنيا كما
ذكرناه وكرر فى قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه امور دنياه
وقوى اصل شجرة الايمان فى قلبه ولو لم يأخذ فى علمها الظالمون
لتتفرق اهل الولايات الى ولايات غيرها ويقع النقص
فى الملك ويقل فى البلاد الدخول وتخلوا الخزائن من
الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يحبون جائرا ولا يزال
دعاءهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه دواعى
هلكته وقال مؤلف الكتاب الظلم نوعان احدهما ظلم السلطان
لرعيته وجور القوى على الضعيف والغنى على الفقير * والثانى

ظلمك لنفسك وذلك شوم معصيتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان في بني اسرائيل رجل يصيد السمك و يقوت بصيده اطفاله و زوجته فكان في بعض الايام يتصيد فوقعت في شبكته سمكة عظيمة ففرح بها وقال امضي بهذه السمكة الى السوق فأبيعها وأخرجها في نفقة الاولاد فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع هذه السمكة فقال الصياد في نفسه ان قلت له نعم اشتراها مني بنصف ثمنها فقال ما ابيعها فغضب العواني وضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهي خلقتني مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لي بحقي منه في هذه الدنيا فما اصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها و وضعتها بين يديه على المائدة مديده ليأ كل منها ففتحت السمك فاها ولكزت اصبعه لكزة سلبت قراره وازالت بشدة عضتها اصطباره * فقصد الطبيب وشكا اليه حاله وذكر له ماناله * فقال الطبيب ينبغي ان تقطع هذه الاصبع لئلا يسري الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل الوجع الى يده وازداد تألمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغي ان تقطع اليد من المعصم لئلا يسري الألم الى الساعد فقطع يده فتوجع ساعده فقال الطبيب ينبغي ان يقطع ساعده لئلا يسري الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا على وجهه داعيا الى ربه ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ اليها فاخذه النوم فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع امض وارض خصمك فانتبه من نومه وتفكر فتذكر وقال انا

اخذت السمكة غصبا * واوجعت الصياد ضربا * وهي التي لدغتني فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة واعطاه شيأ من ماله وتاب من فعاله * فرضي عنه خصمه ففي الحال سكن المه * وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب واقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه ربه برحمته ورد يده كما كانت بقدرته ونزل الوحي الى موسى عليه السلام ان يا موسى وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضي خصمه لعذبته مهما امتدت حياته

(حكاية)

كان موسى عليه السلام يناجي ربه على الطور فقال في مناجاته الهي ارني عدلك وانصافك فقال الله تعالى يا موسى انت رجل حاد جري لا تقدر ان تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال قصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتي وعلمي بالغيوب فمضى موسى وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا فوصل الى العين فارس ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا فيه الف دينار ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم ركب ونسي الهميان في موضعه وسار فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء واخذ الهميان ومضى فجاء بعد الصبي شيخ اعمى فشرب من الماء وتوضى ووقف في الصلاة فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى فلزمه وقال اني نسيت هميانا فيه الف دينار في هذا الموضع في هذه الساعة وما جاء احد الى هذا المكان سواك فقال انا رجل اعمى كيف ابصر هميانك فغضب الفارس من ذلك وجرد سيفه وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه ومضى فقال موسى عليه السلام الهي نفذ صبري وأنت عادل فعرفني

كيف هذه الاحوال فهبط جبريل عليه السلام وقال البارى جلت قدرته يقول لك انا عالم الاسرار اعلم مالا تعلم اما الصغير الذى اخذ الهميان فانه أخذ حقه وملكه وكان ابو هذا الصبى اجيرا لذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر مافى ذلك الهميان فالآن وصل الصبى الى حقه واماذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل اباذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل ذى حق الى اهله وعدلنا وانصافنا دقيق كماترى فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء ويتصور الالباء ان الله تعالى لايخفى عليه شئ وانه ينصف المظلوم فى الدنيا ونحن غافلون اذا جاءنا بلاء لانعلم من أين جاء سئل ذوا القرنين اى شئ من مملكتك انت اكثر به سرورا فقال بشيئين احدهما العدل والانصاف والثانى ان أكافى من احسن الى باكثر من احسانه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان فى كل شئ حتى انه يحب انسانا اذاذبح شاة ان يمهى لها المدية ليعجل خلاصها من الم الذبح وقال ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يخلق الله فى الارض شيأ أفضل من العدل والعدل ميزان الله فى الارض من تعلق به اوصله الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمحسنين فى الجنة منازل حتى المحسن الى اهله واتباعه وقال قتاده فى تفسير هذه الآية ان لا تطغوا فى الميزان قال اراد به العدل فقال يابن آدم اعدل كما تحب ان يعدل الله فيك وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الارض اوحى اليه اربع كلمات وقال يا آدم عليك وعلى جميع ذريتك على هذه الكلمات الاربع وهى كلمة لى وكلمة لك وكلمة بينك وبين الناس اما الكلمة التى هى لى فهى ان تعبدنى ولا تشرك بى واما الكلمة التى

هى

هي لك فاني اجازيك بعملك وأما الكلمة التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما الكلمة التي بينك وبين الناس فهي ان تعدل فيهم وتنصف بينهم قال قتادة الظلم ثلاثة اضرب ظلم لا يغفر لصاحبه وظلم لا يدوم وظلم يغفر لصاحبه فاما الظلم الذي لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذي لا يدوم فانه ظلم العباد بعضهم لبعض وأما الظلم الذي يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصي ثم يرجع الى ربه ويتوب فان الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنته الدين والملك توأمان فينبغي ان يكون الملك دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل اخوين ولدا في بطن واحد فيجب ان يهتم الملك بامور الدين ويؤدي الفرائض في اوقاتها ويجتنب الهوى والبدعة والمنكر والشبهة وكلما يرجع بنقصان الشرع وان علم ان في ولايته من يتهم في دينه ومذهبه فيأمر باحضاره وتهديده وزجره ووعيده فان تاب وأناب والا اوقع به العقاب ونفاه عن ولايته ليطهر الولاية عن اغوائه وبدعته وتخلو من اهل الاهوية ويعز الاسلام ويستديم عمدة الثغور بانفاذ العساكر والحماة اليها ويجتهد في اعزاز الخلق ويحتاط في اعادة رونق السنة والنبوة والسيرة المرضية لتحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم في القلوب هيبته وتخاف سطوته اعداؤه ويعلو قدره ومنزلته وبهاءه ويكبر في عيون اضداده ويعظم عند انداده ويجب ان تعلم ان صلاح الناس في حسن سيرة الملك فينبغي للملك ان ينظر في امور رعيته ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته في الافعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وان يثبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الردى الوبيل ويعاقب على ارتكاب القبيح

ولا يحابى من اصر على القبيح ليرغب الناس فى الخيرات ويحذروا من السيئات ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده افسد سائر اموره فى بلاده وقال الحكماء ان طباع الرعية نتيجة طباع الملك لان العوام انما يبخلون ويركبون الفساد وتضيق اعينهم اقتداء منهم بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم الا ترى انه قد ذكر فى التاريخ ان الوليد بن عبد الملك من بنى امية كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة وكان سليمان بن عبد الملك همته فى كثرة الاكل وتطييب الطعام وقضائه الاوطار وبلوغ الشهوات وكانت همة عبد العزيز فى العبادة والزهادة قال محمد بن على بن الفضيل ما كنت اعلم ان امور الرعية تجرى على عادة ملوكها حتى رأيت الناس فى ايام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكرم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور ورأيتهم فى زمان سليمان بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه اى لون اصطنعت وما الذى أكلت ورأيتهم فى ايام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لتلاوة القرآن واعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم انّ فى كل زمان تقتدى الرعية بالسلطان ويعملون باعماله ويقتدون بافعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادراك الارادات كما يقال

(حكاية)

ذكروا ان فى زمن الملك العادل كسرى أنوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضى سريعا الى البائع واخبره بذلك فقال انما بعتك ارضا ولا اعلم ما فيها والكنز الذى وجدته فهو لك ومبارك عليك فقال لا اريده ولا اطمع فى اموال الناس فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل ففرح انوشروان بذلك وقال هل

لكما اولاد فقال احدهما لى ابن وقال الآخر لى بنت فقال انوشروان احب ان يكون بينكما قرابة وصلة وان تزوجا الابن بالبنت وتنفقا هذا الكنز فى جهازهما ليكون الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما امرهما وتراضيا بما رسم لهما الملك ولو كان الرجلان فى زمن سلطان جائر لقال كل واحد منهما الكنز لى ولكنهما لما علما ان مليكهما عادل طلبا الحق وآثرا الصدق وقالت الحكماء الملك كالسوق وكل واحد يجلب الى السوق ما يعلم انه نافق فيه غير كاسد وما يعلم انه كاسد لا يجلبه الى ذلك السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا الى السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك حملاه اليه واعرضاه عليه اما الآن فى هذا الزمان فكلما يجرى على أيدى امرائنا والسنة ولاتنا فهو جزاؤنا واستحقاقنا فكما انا ردئوا الاعمال قبيحوا الافعال ذووا خيانة وقلة امانة فأمراؤنا ظلمة جائرون وغشمة متعدون كما تكونوا يولى عليكم فقد صح بهذا الحديث ان أفعال الخلق عائدة الى أفعال الملوك ألا ترى أنه اذا وصف بلد من البلاد بالعمارة وان أهله فى أمان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن نيته مع رعيته وانه ليس ذلك من الرعية فقد صح ما قاله الحكماء ان الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم وقد جاء أيضا فى الخبر الناس على دين ملوكهم وكان من سياسة انوشروان بحيث لو ان رجلا القى فى مكان حملا من ذهب وبقى مهما بقى فى موضعه لم يقدر أحد على ازالته من مكانه الا صاحبه وكان ثوبان وزير انوشروان فقال له يوما لا تكن موافقا للاشرار فتخرب ولايتك وتقتصر رعيتك فتصير حينئذ مالك الخراب وسلطان الفقراء ويقبح اسمك فى الدنيا فكتب انوشروان الى عماله ان خبرت أنه قد

بقي في مملكتي ارض خراب سوى ارض سبخة لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض من شيئين أحدهما عجز السلطان والثاني جوره وكان الملوك في ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية

(حكاية)

أرسل ملك هندوستان رسولا الى انوشروان وقال انا أولى بالملك منك فانفذ لي خراج ولايتك فأمر انوشروان بانزال الرسول ثم جمع في اليوم الثاني أرباب دولته واعيان مملكته وأذن للرسول في الدخول عليه فلما دخل عليه ومثل بين يديه قال له اسمع جواب رسالتك ثم امر انوشروان باحضار صندوق ففتحه وأخرج منه صندوقا صغيرا وأخرج منه قبضة من كبر وسلمها الى الرسول وقال هل في ولايتكم شئ من هذا قال نعم هذا عندنا كثير فقال له انوشروان ارجع وقل للملك الهندي يجب عليك أن تعمر ولايتك فانها خراب ثم تطمع في ولاية عامرة فانك لو طفت جميع اطراف ولايتي وطلبت أصلا واحدا من كبر لم تجده ولو سمعت ان في موضع من ولايتي أصلا واحدا من كبر لصلبت عامل تلك الولاية فيجب على الملك ان يسلك طريق الملوك الذين تقدموا ويعمل على سنتهم في الخير ويقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم لانهم كانوا أطول أعمارا وأكثر تجاربا واعتبارا وانهم فرقوا بين الجيد والردئ وعرفوا الجلي والخفي وكان انوشروان مع حسن سيرته يقرأ كتب المتقدمين ويطلب استماع حكاياتهم ويمضي على منهاجهم وسننهم وملوك هذا الزمان أجدر أن يفعلوا ذلك

(حكاية)

سأل انوشروان العادل يوما وزيره يونان وقال أريد تخبرني بسيرة

الملوك

الملوك المتقدّمين فقال له يونان تريد أن أمدحهم بثلاثة أشياء أم بشيئين أو بشئ واحد فقال امدحهم بثلاثة أشياء فقال يونان ما وجدت لهم فى شغل من الاشغال ولا فى عمل من الاعمال قط كذبا ولا رأيت لهم بشئ جهلا ولا رأيت لهم فى حال من الاحوال غضبا فقال أمدحهم بالشيئين فقال كانوا يسارعون فى أعمال الخير وكانوا أبدا يحذرون من أعمال الشر فقال امدحهم بشئ واحد فقال يونان كانت سلطنتهم وجراءتهم على انفسهم أكثر مما كانت على غيرهم فطلب انوشروان الكاس وقال ولهذا الكاس سرورا بالكرام الذين يأتون بعدنا ويملكون تاجنا وتختنا ويذكروننا كما نذكر نحن من تقدّمنا واشقى الناس من اغتر بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدرى كيف ينبغى أن يعيش فيها فيعبر دنياه بالتعب ويحصل فى الآخرة بالندم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصد اولئك الملوك واجتهادهم فى عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهر كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كان لانوشروان كرم يعرف بهزاركام فاجتمع يوما فيه قيصر ملك الروم وفغفور جين وملك هندوستان فى ضيافة انوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شئ فى هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر به صاحبه دائما فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله فقال انوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر فى الخير فقال قيصر اذا تفكرت فى الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال فغفور جين الله يعلم عنا فكرة ان ظهرت استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان أى شئ أحب اليك قال أحب الاشياء الى أن اقضى حاجة من رآنى اهلا

لقضاء حاجته فقال قيصر انا احب ان لا اذنب حتى لا اخاف ملوكا يكون هذا حديثهم وكلامهم انظر كيف كان سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان الاسلام يجب ان تسمع اقوال هؤلاء الملوك وتنظر اعمالهم وتقرأ حكاياتهم من الكتب وما ينظر فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجارى على السنة الخلق الى يوم القيامة كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العدل والسياسة الى حدّ اقام فيه الحدّ والعقاب على ولده حتى مات وكان اذا انفذ عمالا الى اعمال قال لهم اشتروا دوابكم واسلحتكم من ارزاقكم ولا تمدّوا ايديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا ابوابكم دون ارباب الحوائج قال عبد الرحمن بن عوف دعانى عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة واخاف عليهم اذا ناموا أن يسرق شئ من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لى نم انت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته وقال عمر رضى الله عنه يجب على ان اسافر لاقضى حوائج المسلمين فى اقطار الارض لانهم ضعفاء لا يقدرون على قصدى فى حوائجهم لبعد المكان فينبغى أن اطوف فى البلاد لاشاهد احوال العمال واسير سيرتهم واقضى حاجات المسلمين فلا يكون فى سنى عمرى ابرك من هذه السنة

(حكاية)

قال زيد بن اسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لى ان اصحبك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا يكون هناك مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة ارملة ومعها ثلاثة اطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت لهم قدرا على النار وهى تقول الهى انصفنى من

عمر

عمر وخذلي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر بن
الخطاب ذلك تقدم وسلم عليها وقال لها اتأذنين أن ادنو اليك
فقالت المرأة ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم وسألها عن حالها
وحال اطفالها فقالت وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان
بعيد وانا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع
وقد منعهم عن الهجوع فقال عمر واي شئ في هذه القدر فقالت
تركت لهم فيها ماء اشاغلهم به ليظنوا انه طعام قال زيد فعاد امير
المؤمنين وقصد دكانا يباع فيه الدقيق فابتاع منه ملء جراب
ومضى الى دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على
كاهله وحمله يطلب به المرأة والاطفال فقلت يا امير المؤمنين
ناولنيه لاحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن
يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي وجعل يسعى ويبكي الى ان
وصلنا الى المرأة فقالت المرأة جزاك الله عني خير الجزاء فاخذ عمر
جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد
النار وكلما ارادت ان تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على وجهه
ومحاسنه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال
للاطفال كلوا فاكلت المرأة والاطفال فقال عمر ايتها المرأه
لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ومن اطفالك خبر
واول من دعي باميرالمؤمنين عمر بن الخطاب فان ابا بكر رضي الله
عنه دعوه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الامر
الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك
فقال يا أيها المؤمنون سموني اميرا فاني اميركم وان دعوتموني
اميرالمؤمنين فاني ذلك ابن الخطاب

(حكاية)

سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال فقال كان

فى اول الامر اذا لم يكن له شئ يتقوت به اخذ قليلا برسم القوت فاذا حصل عنده شئ له اعاده الى بيت المال وخطب يوما فقال ايها الناس قد كان الوحى ينزل علينا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم والآن قد انقطع الوحى عنا فنحن ننظر من كل احد الى علانيته والله اعلم بسريرته وانا على الجهد وعمالى لا نأخذ شيأ بغير حق ولا نعطى شيأ بغير حق فان شئت أن تعلم أن عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره فانظر فى اخبار عمر بن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بنى امية وبنى مروان مثل مدحه ومحمدته ولا يدعى لاحد من بنى امية وبنى مروان سواه ولا يثنى الا عليه لانه كان عادلا تقيا كريما حسن السيرة نقى السريرة

(حكاية)

كان فى عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب واختار وا رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على اجسادنا لفقد الطعام وراحتنا فى بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله او لك فان كان لله فان الله غنى عنه وان كان لعباد الله فآتهم اياه وان كان لك فتصدق به علينا ان الله يجزى المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع وقال هو كما ذكرت وامران تقضى حوائجهم من بيت المال فهم الاعرابى بالخروج فقال له عمر ايها الانسان الحر كما اوصلت حوائج عباد الله الى واسمعتنى كلامهم فاوصل كلامى وارفع حاجتى الى الله فحول الاعرابى رأسه ووجهه قبل السماء وقال الهى بعزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه فى عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم فامطر

مطرا

مطرا غزيرا وجاء في المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا في قصص الرعية ونار يحترقهم في ضوء السراج فجاء غلام له فحدثه في معنى سبب كان يتعلق ببيته فقال له عمر اطف السراج ثم حدثني لان هذا الدهن من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا في اشغال المسلمين هكذا يكون حذر السلطان وتقواه وتوقيه اذا كان عادلا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية وبناتهم يلمننا ويقلن انتن بنات امير المؤمنين وتراكن عريانات لا اقل من ثياب بيضاء تلبسنها وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له اعطني مشاهرتي لشهر واحد فقال الخازن يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر شهر فخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت ايها الغلام بارك الله فيك ثم قال لبناته اكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها احد بغير مشقة لما كان الامراء كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم والعدل التام هو ان يساوي بين المجهول الذي لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه المعروف في مقام واحد في الدعاوي وينظر اليهما بعين واحدة في الدعاوي ولا يفضل احدهما على الآخر لاجل ان احدهما غني والآخر فقير فان الجوهر والخزف في الآخرة بسعر واحد ولا يحرق عاقل نفسه بالنار لحشمة الاغيار واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى فينبغي ان يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى

فينصف ذلك الضعيف ويرضيه ولا يخاف ولا يستحي من الحق ويعمل بقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وحقيقة ذلك ان كان للملك على احد حق ان يسامحه ويمن عليه ويأمر عماله الثقات ان يقتدوا بامثاله ويعملوا بسيرته لئلا يسأل عن رعيته يوم القيامة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل راع يسأل عن غنمه وكل سلطان يسأل عن رعيته والحال على هذه الصفة لتعلم ذلك

(حكاية)

يقال ان اسماعيل بن احمد امير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في كل موضع ينزله ان يأمر المنادي ان ينادي في العسكر ان الجند ما لهم مع الرعية شغل فمضى رجل من الخربندية في جملة اصحابه فدخل مبطخة وتناول من البطيخ قدرا يسيرا فجاءوا الى باب الملك واستغاثوا فأمر الامير باحضاره فاحضر بين يديه فقال له الك علينا اجرة ام لا قال بلى قال فما سمعت المنادي فقال قد سمعته قال فلاي سبب آذيت رعيتي فقال اخطأت فقال انا لا اقدر لاجل خطئك على دخولي النار وامر به فقطعت يده

(حكاية)

ويحكى عن اسماعيل الساماني في كتاب سير الملوك انه كان ينزل بجوا موليان وكان كل وقت يصل الى مدينة كندر يأمر المنادي ان ينادي وقت العصر في الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويربع البواب ليجيء كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه ويعود مقضي الحاجة وكان يقضي بين الخصوم مثل الحكام الى ان يفني الدعاوى ثم يقوم من موضعه ويقبض على محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو السماء ويقول الهي

هذا جهدى وطاقتى قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم علانيتى ولا اعلم على اى عبد من عبيدك اجنفت اولاى عبد ظلمت وما انصفت انا واحد من اصحابى فاغفر لى يا الهى من ذلك مالا اعلم فلما كان تقى النية جميل الطوية لا جرم علا امره وارتفع قدره وكان عسكره الف فارس معتمدين بالسلاح مقنعين بالحديد وببركة ذلك العدل والانصاف ظفره الله بعمرو بن ليث انفذ اليه من السجن وقال لى بخراسان اموال كثيرة وكنوز موفورة وانا اسلمها اليك فاطلقنى من السجن فلما سمع اسماعيل ذلك ضحك وقال الى الآن لم يستقم معى عمرو ابن ليث يريد ان يجعل المظالم التى احتقبها والمآثم التى ارتكبها فى عنقى ويخلص من ثقل أوزارها فى الآخرة قولوا له مالى فى مالك حاجة وأخرجه من السجن وانفذه الى بغداد فنال من امير المؤمنين الخلع والتشريف وجلس اسماعيل فى مملكة خراسان آمن البال حسن الحال وبقيت المملكة فى عصر الساسانية مائة وثلاثين سنة فلما انتقل الامر الى اصاغرهم وصبيانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق فزال ملكهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم نصفة المظلوم زكاة العمل قال صلى الله عليه وسلم من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تقطب منك طلق الوجه يوما * ترى بالعدل من جور جزاء

فقل للناس ما تهوى استماعا * ولا تفعل ان اخترت البقاء

جاء فى الخبر ان داود عليه السلام كان ينظر يوما الى السماء فراى شيأ مثل النخالة ينزل من الهواء فقال الهى ما هذا فاوحى الله اليه هذه لعنتى انزلها على بيوت الجبارين الجائرين

(حكاية)

لما قعد انوشروان فى المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم ايها الملك ان امور الملك على ثلاثة اشياء اما ان ينصف رعيته ولا ينتصف منهم فذلك فضل وهذه الدرجة العليا او ينصف وينتصف وهذه الدرجة الوسطى او لا ينصف ولا ينتصف وهذه درجة الجور السفلى فانظر ايها الملك الى هذه الثلاثة واختر ايها شئت وانا اعلم ان الملك يختار الاولى كما قال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثل ما * انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافهم وهو لا * ينصفهم فهو الدنى الحقير

(نصيحة وموعظة)

دخل شب بن شبه يوما على المهدى فقال له يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا من طيب عيشك فقال المهدى وما الذى ينبغى ان تعطى الرعية فقال العدل فانه اذا نامت الرعية فى امن منك نمت آمنا فى قبرك وقال احذر يا امير المؤمنين من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فان فى الحشر لا يعيرك احد زينة كقول الشاعر

فجمل نفسك بالحسنى و زينتها * فلن تعار تقى فى الحشر من رجل
وليس تملى يد المعروف فاحظ بها * تربح كثيرا و رأس المال لم يزل

(وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى انوشروان) يقول بماذا يكون دوام المملكة فكتب اليه جواب ذلك انى لا ارسم شيأ بجهالة واذا امرت بامر اتممته ولا اتركه بخوف ولا لرجاء يريد اننى اذا أمرت بشئ لا أبطله لاجل من رجائى أو خوفى وانى لا اغير شيأ أمرت به
(سئل ارسطاطاليس) هل يجوز ان يدعى احد ملكا غير الله تعالى

فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت عادية العلم والعدل والسخا والحلم والرأفة ومانا سبها الان الملوك كانوا ملوكا بالظل الالهى وضياء الحسن بطهارة النفس وتزايد العقل والعلم وقدم الدولة وشرف الاصل وللدولة التى كانت فى محتدهم واصولهم فبذلك كانوا ملوكا وسلاطينا ومعنى قولهم فرانرذى وهو الظل الالهى يظهر فى ستة عشر شيأ العقل والعلم وحدة الذكاء وادراك الاشياء والصور التامة والالمعية والفروسية والشجاعة والاقدام والتأنى وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار الزعامة والاحتمال والمداراة فى مكانها والرأى والتدبير فى الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير الملوك والفحص عن الاحوال والاعمال التى اعتمدها الملوك وعملوا بها الان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا وانقرضوا وصار واتذكار اللناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز وللآخرة كنز فكنز هذه الدنيا الثناء وطيب الذكر وكنز الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر

(حكمة)

سأل الاسكندر ارسطاطاليس ايهما افضل للملوك الشجاعة ام العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة

(حكمة)

كان الاسكندر بعض الايام قد ركب فى جماعة اهل موكبه فقال له رجل من مقدمى عساكره ان الله تعالى قد اعطاك ملكا عظيما فاستكثر من النساء ليكثر اولادك فتذكر بهم بعد موتك فقال الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد ولكن

بحسن السيرة وعدل السنة ورجل غلب رجال الدنيا الا يجوز ان تغلبه النساء

(حكاية)

عزل الاسكندر غلاما من عماله عن عمل كبير خطير وولاه امر عمل آخر حقير فاتى ذلك الرجل بعض الايام الى الدركات فقال له الاسكندر كيف تجد عملك فقال اطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال وذلك بحسن السيرة والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله وأعاده الى اعماله

(حكمة)

قال سقراط العالم مركب من العدل اذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر

(حكمة)

وسئل بزرجمهر فقال باى شئ يظهر عز الملك فقال بثلاثة اشياء حفظ الاطراف مع دفع العدوّ عن الحوزة واكرام العلماء واعزازهم وحب اهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف اهل الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ واذا كانت النعم قليلة ساغت مع الامن كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال انه انقطع رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع فى الرمل فجعل يسير الى ان وصل الى خيمة فرأى فى الخيمة امرأة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا نائما فسلم الحاجى على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز امض الى ذلك الوادى واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوى لك منها واطعمك فقال الرجل اما

لا اجسر اصطاد الحيات فقالت العجوز انا اصطاد معك فلا تخف فمضينا وتبعها الكلاب فاخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فالتت العجوز وجعلت تشوى الحيات فلم ير الحاجى بدا من الاكل وخاف ان يموت من الجوع والهزال فاكل ثم انه عطش فطلب منها الماء فقالت دونك والعين فاشرب فمضى الى العين فوجد ماء مرا مالحا ولم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الى العجوز وقال اعجب منك ايتها العجوز ومن مقامك فى هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام فقالت العجوز كيف تكون بلادكم فقال يكون فى بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة فقالت العجوز وقد سمعت هذا كله فقل لى هل تكونون تحت يدى سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب اخذ اموالكم واستاصل احوالكم واخرجكم من بيوتكم واملاككم فقال قد يكون ذلك فقالت اذا يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سما ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن درياقا نافعا اما سمعت ان اجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن فالامن يكون من سياسة السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة وان يكون مع السياسة لان السلطان خليفة الله ان تكون هيبته بحيث اذا راته الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان يجب ان تكون له اوفى سياسة واتم هيبة لان الناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوى الوقاحة والسفهاء واهل القساوة والشحنا واذا كان السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفا وكان غير ذى سياسة فلا شك ان ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا وفى الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة

واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

اعطى الحجاج بن يوسف يوما قصة فيها مكتوب اتق الله ولا تجر على الناس كل هذا الجور فرقى الحجاج المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان انا مت لا تخلصون انتم من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان لله تعالى امثالا كثيرة واذا لم اكن انا كان من هو اكثر مني شرا شعر

وما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(وسئل بذرجمهر) اى الملوك افضل واطهر فقال من امنه الطاهرون وخاف منه الخاطئون واما السلطان الذى لا سياسة له فليس له فى اعين الناس والرعية خطر ويكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا كان من عوام الولاية وتولى عليها واردان يطلب الحساب من الرعية اول ما يكلفهم بالهيبة ويظهر لهم جاهه بالسياسة لعلمه ان الرعية ينظرونه بالعين الاولى وفى هذا الباب حكاية عجيبة

(حكاية)

كان لابى سفيان بن حرب ولد وكان يدعى بزياد بن ابيه لانه كان قد ولد فى الجاهلية ونماه وتبرأ منه ابو سفيان وقال ما هو لى بولد فلما وصل الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق فلما وصل زياد الى عمل العراق وجد اهل العراق يوما غائبين يفسدون ويسرقون فقصد زياد المسجد الجامع ورقى المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج احد بعد

العشاء الآخرة من منزله لآخذن راسه فليعلم الشاهد الغايب ثم
امر منادياينادى بذلك ثلاثة أيام فلما أقبلت الليلة الرابعة خرج
زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف محال
البلد فرأى رجلا اعرابيا ومعه غنم له وهو قائم فسأله زياد ما تصنع
ههنا فقال الاعرابى أتيت مساء ولم اجد موضعا استقر فيه فنزلت
مكانى الى ان اصبح وابيع غنمى فقال له زياد انا اعلم انك صادق
وان اطلقتك خفت أن يذيع الخبر عنى ان زيادا يقول ولا يفعل
فتفسد سياستى وتنكسر همتى والجنة خير لك من ههنا وضرب
عنقه ثم جعل يسير فكل من لقيه ضرب عنقه وجز رأسه فلما أصبح
من الغد كان قد أخذ الفا وخمسمائة رجل وجعلها على باب داره
مثل البيدر فتهوله الناس وجزعوا المارأوا من فعله فلما كان الليل
خرج وطاف فلقى ثلثمائة رجل أخذ رؤسهم فلم يقدر بعد ذلك أحد
ان يخرج من منزله بعد العشاء الآخرة فلما كان يوم الجمعة رقى المنبر
وقال لا يغلقن أحد منكم منزله بالليل ولا باب دكانه ومهما
سرق منكم كانت غرامته على فلم يجسر أحد ان يغلق فى تلك
الليلة دكانه فلما كان من الغد أتاه رجل صيرفى وقال له قد سرق
منى البارحة اربعمائة دينار فقال له اكتم هذا الامر ولا تشعرن به
احدا فلما كان الجمعة الثانية واجتمع الناس للصلاة صعد زياد المنبر
وقال اعلموا انه قد سرق من دكان فلان الصيرفى اربعمائة دينار عينا
وانتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم
تردوه فقد تقدمت ان لا يخرج احد منكم من الجامع وآمر بقتلكم
فى هذه الساعة ففى الحال الزموا من كانوا يتهمونه بالسرقة وقدموه
بين يديه فرد الذهب الذى سرقه فامر بصلبه فى الحال ثم انه سأل
اى محلة بالبصرة ليس فيها امن فقالوا محلة بنى الازد فامر ان ينزل
فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة بحيث لا يراه احد فبقى اياما ملقى

بحاله ولم تكن لاحد مرارة ان يقربه ولا ينقله من مكانه فقال له اقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين أولا وأهلكت خلقا كثيرا عظيما فقال قد اخذت الحجة عليهم قبل ذلك بثلاثة ايام ومن شؤم اعمالهم لم ينتهوا والذى اصابهم من شؤم أخلاقهم

(فصل)

ولا ينبغى للسلطان ان يشتغل دائما بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد لان هذه تمنعه وتشغله عن الاشغال ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الربح خسرانا والسرور احزانا فان الملوك القدماء قسموا النهار اربعة اقسام منها قسم لعبادة الله وطاعته وقسم للنظر فى امور السلطنة وانصاف المظلومين والجلوس مع العلماء والعقلاء لتدبير الامور وسياسة الجمهور وتنفيذ المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ الرسل وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا واخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان وما اشبه ذلك ويقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففى الاول كان يقضى اشغال الناس وفى الثانى كان يطلب الراحة ويقال انه فى جميع أيامه ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان انوشروان العادل يأمر أصحابه أن يصعدوا الى اعلى مكان فى البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لا يخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن احوال اولئك القوم وما خطبهم فان كانوا فى غم اعلموا انوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل همومهم ويجب على السلطان ان لا يرضى لغلمانه ان يتناولوا شيئا من الرعية بغير حق كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال

يقال انه كان ندولى انوشروان العادل غلاما فأنفذ اليه العامل زيادة ثلاثة الف درهم فامر انوشروان باعادة الزيادة على اصحابها وامر بصلب العامل وكل سلطان اخذ من رعيته شيأ بالجور والغصب وخزنه فى خزانته كان مثاله كمثل رجل عمل اساس حائط ولم يصبر دامه حتى يجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغى للسلطان أن يهتم بامور الدنيا كما يهتم باخذ ما يأخذه من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين حدا وقدرا كما جاء فى فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان المأمون ولى يوما اربعة نفر اربع ولايات فاعطى احدهم منشورا بخراسان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار واعطى الآخر منشورا بخورستان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الآخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار ثم استدعى موبذ موبذان وقال له يادهقان هل اعطى ملوك العجم فى أيام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغنى ان خلعهم ما كانت تبلغ اكثر من اربعة آلاف درهم فقال الموبذ اطال الله بقاء امير المؤمنين كان لملوك العجم ثلاثة اشياء ليت لكم احدها انهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثانى انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغى ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت ولم يرد عليه جوابا ولاجل هذا فتح المأمون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر سحنة وجهه وهى بمائها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تمزقت

ولاخلقت والخاتم فى اصبعه فصه من ياقوت احمر كثير الثمن مارأى المأمون قبله فصا مثله وكان على فصه مكتوب به مه نه مه به معنى ذلك الاجود اكبرايس الا كبراجود فامر المامون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب وكان مع المأمون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به أمر باهلاكه واعاد الخاتم الى اصبع انوشروان وقال كاد يفضحنى بحيث يقال عنى الى يوم القيامة ان المامون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه

(حكاية)

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال اوضحوا الى سبيلا من الحكمة احكم فيه اعمالى واتقن به اشغالى فقال كبير الحكماء أيها الملك لا تدخل قلبك محبة شئ ولا بغضته لان القلب خاصيته كاسمه وانما سمى قلبا لتقلبه واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون فى ليلك متيقظا ولا تسرع فى أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة فى وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت باختيارك وينبغى ان يكون الملك حليما وقورا وان لا يكون طايشا عجولا قالت الحكماء ثلاثة اشياء قبيحة وهى فى ثلاث اقبح الحدة فى الملوك والحرص فى العلماء والبخل فى الاغنياء

(حكمة)

كتب الوزير يونان الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ فقال منها ينبغى يا ملك الدنيا ان يكون معك اربعة اشياء دائما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغى ان تنفى عنك أربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة وقال اعلم يا ملك

الدنيا

الدنيا ان الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون بعدك لم يصلوا فاجتهد بأن تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبيك ومشتاقين اليك

(حكاية)

يقال ان انوشروان ركب فى بعض الايام فى الربيع على سبيل الفرجة فجعل يسير فى الرياض المخضرة ويشاهد الشجرة المثمرة و ينظر الى الكروم ألف مرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا واضعا خدّه على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذى قد أظهر حسن نيتنا فى سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جرّبه فى بعض الاوقات

(حكاية)

يقال ان شروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره خلف صيد فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته فى قدح وسلمت القدح الى انوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شاد باش نعم الماء كان لولا ذلك القذى الذى كدّره فقالت الصبية يسر منك اناعمدا ألقيت فيه القذى قال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رأيتك شديد العطش فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم

قصبة عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر فى نفسه وقال قرية يكون فى قصبة واحدة منها هذا السكر ويكون هذا الخراج خراجها فجعل فى نفسه انه اذا عاد أمر بان يزاد خراجها عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب ماء فخرجت الصبية بعينها فرأته فعرفته فعادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها انوشروان وقال لاى شئ أبطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة فقال انوشروان ما سبب هذا العجز فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعت انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك انوشروان وازال عن نفسه ما كان قد اضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لتعجبه من ذكائها

(حكمة)

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكر جور لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى فى سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من اسكرته الخمر فى سرعة * فماله ميدان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة * يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة أمينا وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان أن يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستديه ويتمسك به الى أن تزول حاجته وتنقضى فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربى طفلا صغيرا الى أن

يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم يقتله ويستاصله وقيل ان اربعة اشياء على الملوك من الفرائض وهى ابعاد الادنيا عن ممالكهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ واولى الحكمة والتجربة والزيادة فى امر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصرى ان اعنى باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان ان يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد أفسد ملكه واهمل امره واخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما حان منه خرابه * ظهر التخلل من اساس الحائط
واذا تولى الملك عن اربابه * ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغى لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقى اعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغى الانبساط عليهم فى خدمتهم كقول الشاعر

واتك للسلطان تجل فداره * وخف منه ان احببت راسك سالما

ومثل الذى ينبسط مع السلطان كمثل الحوا الذى يكون دائما مع الحيات يأكل ويقوم معها ويقعد معها اوكرجل فى البحر بين التماسيح التى تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا

(حكمة)

قال الحكيم ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون احدا الا من

كانوا محتاجين اليه لعلمه او لشجاعته فاذا اخذوا حاجتهم منه
لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء واكثر
اشغالهم ويستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب
غيرهم ويستحقرون في العقاب ضرب الرقاب ويستعظمون في
العتاب رد الجواب قال سفيان لا تصحب السلطان واياك وخدمته
لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك واعطبك ولا
ينبغي لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جوار كما جاء في
الحكاية

(حكاية)

يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده في وقت لم يكن
لاحد اذن في الدخول فقال شهريار امض واضرب الحاجب
الفلاني ثلاثين خشبة واطرده عن الدركات واقم موضعه فلان الحر
وكان عمر يزدجرد ثلاثة عشر سنة حينئذ فعلم ذلك الحاجب الحرلم
ابعد الاول عن الباب فعاد بعض الايام يزدجرد واراد ان يدخل
على والده فجعل ذلك الحاجب يده على صدره ورده على عقبه
وقال له ان عدت رايتك بعدها ههنا ضربتك ستين سوطا
ثلاثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك في غير
وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تجلب لي الضرب والهوان واصلح
الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا
من الارواح يتعلق بروحه وصلاح الرعية في حياته وكذلك ينبغي
ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على جميع الخلق ولا يجوز للملك
ان يجازف في الاشغال ولا يتساهل في الاعمال ويجب ان ينيم كل
ليلة على فراشه غيره ويتحول بنفسه الى غير ذلك المكان حتى
ان قصد عدوه له اتلاف نفسه وجد غيره في مكانه فلا يصل عدوه
اليه كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه انهزم خسرو يزمن بهرام جوبين وقال هربت وان كان الهرب عيبا الا خلاص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لانني ان هلكت هلك بسببي الوف من الخلائق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح الفعل وغافل والملوك مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن أناس السوء فى امثال العرب * العبد يقرع بالعصى * والحر تكفيه الاشارة * وهذا المثل يضرب فيمن له أصل وفيمن لا أصل له وقد كان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد جميع أهل الدنيا ويسخرهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه والفضل فى ذلك الوقت كان للزمان والرعية فاليوم لو عوملت هذه الرعية بتلك المعاملة لم يحتملوا وابدا منهم الفساد لكن ينبغى أن يكون السلطان هذا الوقت أتم سياسة وهيبة ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض ونحن الآن نورد خبرا فى هذا الباب ليستفيد به القارى والسامع خبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه فقيل له لاى شئ لا تنفع الموعظة هؤلاء الناس فقال الخبر معروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوصى عند وفاته اشار بثلاث اصابعه وقال بطرف لسانه ولا تسئلونى عن اولئك فقال الصحابة ان ذلك اشارة الى ثلاثة اشهر وقال قوم ثلاث سنين وقال قوم ثلاثين سنة وقال قوم بثمانمائة سنة فلا تسألونى عن حال تلك الرجال فاذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألونى عن اولئك فكيف تنفع الموعظة فيهم وسئل عن مثل هذا السؤال فقال كان الناس فى ذلك الزمان نياما وكان العلماء ايقاظا واليوم العلماء نيام والخلق موتى فاى نفع لكلام النائم عند الميت اما

زماننا هذا فهو الزمان الذى قد هلك فيه الخلائق جميعهم وقد خبثت اعمال الناس ونياتهم واذا لم تكن بينهم سياسة السلطان ولا هيبته لم يثبتوا على الطاعة والصلاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون خير الرعية وأمنهم وعافيتهم وكل الاعمال توزن بميزان العدل قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعنى به العدل وقال فى موضع آخر الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان واحق الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا للعدل وبيته مقر الذوى الدين والعقل ورأيه خزانة ارباب العلم والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع اولى الآراء * كما قال الشاعر

يده خزانة جوده * والقلب خازن فضله
قد رتبت ابوابه * ابدا بطالب عدله

قال الحسن البصرى كل ملك عظم امر الدين كان عند رعيته عظيم الامر ومن عرف الله تعرف للخلق به واختاروا أن يكونوا معارفه كما قال الشاعر

من عرف الله تعالى اسمه * آثر كل الخلق عرفانه
طوبى لمن اول ما حازه * معرفته الخالق سبحانه

قال بزرجمهر لا ينبغى للملك أن يكون فى حفظ مملكته أقل من البستانى فى حفظ بستانه فانه اذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعجل فى قلع الحشيش لئلا يضبط اماكن الريحان

(حكمة)

قال افلاطون علامة السلطان المظفر على اعدائه ان يكون قويا فى نفسه لازما لصحته مفكرا فى آرائه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا فى ملكه شريفا بنفسه حلوا فى قلوب رعيته رفيقا فى سائر اعماله مجربا بالعهد من تقدمه خبيرا باعمال من هو أقدم منه صلبا فى دينه

وكل ملك تجمعت فيه هذه الخصال كان في عين عدوه مهيبا لا يجد فيه العائب فيه معيبا واذا كان الملك يرى من حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه قويا فانه يظفر به وينصر عليه مثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

(حكمة)

قال سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل حبيبين في قلبه ليكون في قلوب رعيته محبوبا وان يكون العقل قريبا منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء وان يكون فضله غزيرا وبيته كبير العظم عند الفضلاء ويربي الادباء ليتفرغ عندهم الادب وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب لتبعد عنه العيوب وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بمملكته ويتلف اقرباؤه وجلساؤه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل وكل عيب نتيجة قلة العقل كما قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسد * دع المزح اذ لست فيه اسد
تحفظ بنفسك مع مقلتيك * فعينك للملك تجني الحرد
وخف ان تنازعه ملكه * وفي حالة السخط عنه فعد
فتقتل عن سخطه لا بجرم * ضياعا وليس عليه قود
سمعت عن الخمران المليك * يسكر عنها قليل الاحد

سئل معاوية الاحنف بن قيس فقال يا ابا يحيى كيف الزمان قال الزمان انت يا امير المؤمنين ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد وقال الاحنف بن قيس كما ان الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يضئ نوره وتلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور يتراكم ظلامه ويسود قتامه عن مسيرة الف

فرسخ وقال الفضيل ابن عياض لو كان دعاى مستجابا لم ادع لغير السلطان العادل صلاح البلاد وزينة العباد *(خبر) جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون لله في الدنيا على منابر اللؤلؤ يوم القيامة

(حكاية)

كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد رفع الحجاب فقدم بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني سرقت ولم يكن لي شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية النظر فيما يأمر به من السياسة لينفذ ذلك أصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله ونائبه لان كثيرا من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تأمله يغطى عليه بالبراطيل ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغي ان يجتهد في تدارك ذلك كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان للملك كشتاسب وزير اسمه راست روشن وبهذا الاسم كان يظن كشتاسب انه تقي صالح وما كان يستمع فيه مقال أحد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راست روشن لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية والآن قد فاحت فيهم رائحة الفساد ويجب علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المتعدين ونخلى الفسقة المفسدين ونؤدب الصالحين ثم انه كان كل من لزمه الخليفة ليؤديه ارتشى منه راست روشن واطلقه الى ان ضعفت الرعية وضاقت بها الاحوال وخلت الخزائن من الاموال وظهر لكشتاسب عدو فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيئا يصلح به امور عسكره فركب يوما

من شغل قلبه وسار فى البرية فرآى من بعد قطيع غنم فطلبه فرآى خيمة مضروبة والاغنام نيام ورآى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وسأله النزول فنزل فاكرمه وقدم بين يديه ما أحضره كما وجب فقال له كشتاسب خبرنى عن حال هذا الكلب حتى آكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان امينالى على اغنامى فصادق ذيبة ويقوم معها وينام عندها والذيبة كل يوم تأتى وتسرق من الغنم رأسا بعد رأس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب منى حق المرعى فقعدت اتفكر واحسب حساب الغنم وهى تنقص فى الحساب فرأيت ذيبا قد اخذ شاة والكلب ساكت بجانبه فعلمت انه كان سبب اتلاف الغنم وانه كان يخون امانته فلزمته وصلبته فاعتبر كشتاسب بذلك وجعل يفكر فى نفسه وقال رعيتنا اغنامنا فيجب ان نسئل ايضا نحن عنها لنصل الى حقيقه امرها فعاد الى داره وجعل ينظر فى البرنامجات واذا هى جميعها شفاعات راست روشن فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوى الفساد بقى بغير زاد ومن خان فى الزاد عاد بغير روح وامر بصلب الوزير وهذه الحكاية مكتوبة فى كتاب ياد كارنامه وفيها يقول الشاعر

وما انا بالمغتر باسمك انما * تسميت كى تحتال فى طلب الرزق

ومن يجعل الاسماء فخا لرزقه

يعد غير ذى روح على الجذع مستلقى

(حكاية)

يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابى جعفر بن زيدويه وكان عمرو به حفيا ومن جملة محبته له انه كان قد وصله من هراة مائة جمل حمر الوبر على كل جمل حمل من الحوائج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار ابى جعفر وقال ليوسع عليه فى مطبخه فقيل يوما

لعمرو بن ليث ان اباجعفر قد بطح غلاماله وضربه عشرين خشبة فأمر عمرو باحضاره وأمران يحضر بين يديه كل سيف في خزانته وقال يا اباجعفر اختر من هذه السيوف اجودها فاعزله ناحية عنها فجعل ابوجعفر يتخير ويبقى الى ان اعزل مائة سيف فقال اختر الآن منها سيفين فاختار ابوجعفر سيفين منها فقال ارسم أن يجعلا في قراب واحد فقال ابوجعفر كيف يمكن ان يكون سيفان في قراب واحد فقال عمرو بن ليث وكيف يمكن ان يكون اميران في بلد واحد فعلم ابوجعفر انه قد اخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة فقال عمرو لولا حق القرابة والنسب لما حابيتك فمثل هذا الامر لنا فقد عفونا هذه النوبة عنك

(حكمة)

قال ازدشير اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ليس شئ اضيع للملك وافسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول على الملك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شئ أهيب في قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن العمال أن يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر الاعمال اطلاع ولا يجوز للسلطان أن يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية وليستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

(حكاية)

يقال ان ازدشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا جاءه ندماؤه من الغد حدث كلا بما صنعه وكان يقول لاحدهم انك بالبارحة فعلت الشئ الفلاني واكلت الشئ الفلاني ونمت مع

زوجتك أو الجارية الفلانية ومهما كان يجرى لندمائه كان يحدثهم به من الغد بحيث يظنون ان ملكا يأتيه من السماء يعرفه بأسمائهم وكذلك كان السلطان الغازى محمود ابن سبكتكين رحمه الله

(حكمة)

قال ارسطاطاليس خير السلاطين من كان فى حدة النظر على امثال العقاب وكان الذين حوله كالعقبان لا كالجيف يعنى اذا كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة فى العاقبة وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت احوال مملكته واستقامت امور اهل ولايته

(حكمة)

قال الاسكندر خير الملوك من بدل السنة الحسنة وبدل السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة الحسنة بالسيئة

(حكمة)

قال ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح فى ملكه وافسد حرمه وافشى سره قال سفيان الثورى رحمة الله عليه خير الملوك من جالس اهل العلم ويقال ان جميع الاشياء تجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلو اقدارهم بالعقل والفهم وليس للملوك شئ خير من العلم والعقل فان فى العلم بقاء العز ودوامه وفى العقل بقاء السرور ونظامه ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع فيه اثنا عشر خصلة الفقه والادب والتقى والامانة والصحة والحياء والرحمة وحسن الخلق والوفاء والصبر والحلم والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك وينبغى ان تعلم ان هذه الاداب تحتاج الى نظائرها وقرائنها التجمع فى استعمالها فينبغى ان

يكون مع العقل العلم ومع الشجاعة الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصحة الجلادة ومع الاجتهاد الدولة واذا جاءت الدولة حصل جميع المراد

(حكاية)

اعلم ان يعقوب بن ليث علا امره وارتفع قدره وظهر اسمه وذكره وملك كرمان وسيستان وپارس وخوربستان وقصر الواق وكان الخليفة فى ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك كنت رجلا صفارا فمن اين تعلمت تدبير المماليك فرد يعقوب اليه جوابا وقال ان المولى الذى اعطانى الدولة اعطانى التدبير وفى عهدنامة ازدشير مكتوب كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم فان عاقبته ذل وكل عدل ليس معه خوف وان كان تاما فان مصيره الى الندم

(حكاية)

قال عبد الله بن طاهر يوما لابيه كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم فى بيتنا قال مادام بساط العدل والانصاف مبسوطا فى هذا الايوان

(حكمة)

كان المأمون قد جلس فى بعض الايام لفصل الدعاوى والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض حاجة رافعها فى هذه الساعة فان الفلك فى سرعة دورانه أحقد من ان يثبت على حاله اويفى لمحب بآماله (يقول) مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الالبا ان ينظروا فى هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من ايام دولتهم وينصفوا المظلومين ويقضوا حوائج المسلمين السائلين ويتيقنوا ان هذا الملك لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد على الدولة وان القضاء السماوى لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخائر واذا انجلت الدولة تلاشت الاموال

وتفاوتت الرجال ولا ينفع الندم اذا زل القدم كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان مروان آخر خلفا بنى امية عرض عسكره فكان ثلثمائه ألف رجل بالعدد الكامل فقال وزيره ان هذا الجيش لمن اعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة لم تنفع العدة واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيما كثيرا بان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا باسرها فلا بدّ ان تنزع منا ولمن بقت الدّنيا حتى تبقى لنا

(حكمة)

قال ابو الحسن الاهوازى فى كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب فخذ زاد من يومك لغدك ولا يبقى يوم عليك ولا غد يقال كان على قبر يعقوب ابن ليث مكتوب هذه الابيات عملها قبل موته وامر ان تكتب على قبره وهى هذه (شعر)

سلام على اهل القبور الدّوارس
كانهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة
ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس
فقد جاءنى الموت المهول بسكرة
فلم تغن عنى الف الاف فارس
فيا زائر القبر اتعظ واعتبر بنا
ولا تك فى الدنيا هديت بآنس
خراسان نحويها واكناف فارس
وما كنت من ملك العراق بأيس
سلام على الدنيا وطيب نعيمها
كان لم يكن يعقوب فيها بجالس

سئل ملك كان قد زال الملك عنه فقيل له لاى سبب التفتت الدولة عنك وسلبت المملكة منك فقال لاغتراري بالدولة والقوة ورضائي برآئي وعلمي وغفلتي عن المشورة وتوليتي لاصاغر العمال كابر الاعمال وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري في الحيلة واعمالها وقت الحاجة اليها والتباطي والوقفة في مكان العجلة والفرصة والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل له اى الاشرار اكثر شرا فقال الرسل الخونه الذين يخونون في الرسالة لاجل أطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال أزدشيه في حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا من استار ذي المحرمات الاحرار وكم احتاجوا من الاموال وكم من يمين كذبوها بخياناتهم وكم من عهود نقضوها بقلة اماناتهم وكان ملوك العجم في هذا الامر يتحرزون و يتحفظون وما كانوا ينفذون رسولا الا بعد أن يجربوه و يمتحنوه

(حكاية)

ارسل الملك الاسكندر رسولا الى الملك دارا فلما عاد الرسول واعاد الجواب شك الاسكندر في كلامه في كلمة فلزمها عليه فقال الرسول يا مولاي انا سمعت منه هذه الكلمة باذني هاتين فامر الاسكندر ان يكتب ذلك اللفظ بعينه وانفذه على يد رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب عليه وقرأه طلب سكينا وقلع تلك الكلمة من الكتاب واعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان اس الملك على حسن سنة الملك وصحة طبعه واساس صحة السلطان على صحة لفظ السفرآء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما يقوله عن لسان الملك و يسمع ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والان فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم اجد سبيلا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول وقرأ

الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التى تكلمت بها فاقر الرسول وقال انه قصر فى حقى واسخطنى فقال الاسكندر سبحان الله اتظن اننا ارسلناك لتصلح امورك وتضيع امورنا وتسعى فى حقوق الناس الينا ثم أمر به فسل لسانه من قفاه

(فصل)

ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته فى ضائقة وحصلوا فى شدّة وفاقة ان يغيثهم لاسيما فى أوقات القحط وغلا الاسعار حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغى حينئذ للسلطان أن يغنيهم بالطعام ويسعدهم من خزائنه بالمال ولا يمكن احدا من حشمه وخدّامه واتباعه أن يجور على رعيته لئلا يضعف الناس وينتقلون الى ولايته ويتحولون الى سوى اياالته فينكسر ارتفاع السلطان ويقل حاصل الديوان وتعود المنفعة على ذوى الاحتكار الذين يسرون بغلا الاسعار ويقبح ذكر الملك ويدعى عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدّمون يحذرون من هذا غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزينهم ويساعدونهم من ذخايرهم ودفاينهم

(حكاية)

يقال انه كان رسم ملوك العجم ان يأذنوا الرعايا هم فى الدخول اليهم فى ايام النوروز والمهرجان وكان المنادى ينادى قبل ذلك بايام ان استعدوا لليوم الفلانى ليأخذ كل من الناس اهبته ويصلح امره ويكتب قصته ويتيقن حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتألم منه عند الملوك طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادى على باب الملك ونادى ان منع اليوم احد من الدخول كان الملك بريا

من دمه ثم كانت تؤخذ القصص من الناس وتوضع بين يدى الملك وكان ينظر فى كل واحدة منها على الانفراد وموبذ موبذان قاعد على يمينه وموبذ موبذان بلسانهم قاضى القضاة فان كان فى القصص قصة يتألم فيها من الملك قام الملك من مكانه وبرك بين يدى موبذ موبذان على ركبتيه مقابل خصمه ثم قال انصف اولا هذا الرجل منى ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تخترنى على نفسك لان الله جل ذكره اذا أهدى الحظوظ لعباده اختار لهم وولى عليهم خير خليفة واذا أراد ان يرى عباده اى قدر لذلك الخليفة عنده اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك ثم كان ينظر الموبذ فان كان بين يدى الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك اخذ الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى صحيحة وكانت دعواه باطله لا يثبت على صحتها حجة امر بعقوبته ونادى عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك اذا فرغ من الدعاوى استوى على سرير مملكته ووضع التاج على مفرقه واقبل على جماعته وخاصته وقال انما انصفت من نفسى لئلا يطمع احد فى الظلم والجور على احد وكل من كان منكم له خصم فليرضه وكان يبعد عنه فى ذلك اليوم كل من كان قريبا منه ومن كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الى ايام يزدجرد بزه الاثم كاد فانه غير قواعد ملوك ساسان وظلم الخلق وافسد حتى جاء بعض الايام فرس فى غاية الجودة والكمال بحيث انه لم يرى احد فى ذلك الزمان مثله فى حسن خلقته وجمال هيئته فدخل من باب داره فاجتهد جميع من فى عسكره ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه احد منكم فانه هدية من

الله تعالى خاصة لي فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا قليلا ثم امر يده على ظهره والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعى يزدجرد السرج وأسرجه بيده وأوثق جذب حزامه ودار نحو كفله ليضع الثفر فرفسه الفرس على فؤاده رفسة محكمة فخر ميتا في الحال فخرج الفرس ولم يعلم أحد من اين جاء ولا الى أين عاد فقال الناس هذا الفرس كان ملكا ارسله الله تعالى اليه ليهلكه ويخلصنا من ظلمه وجوره قال القاضي ابو يوسف حضر يوما عندي في مجلس حكمي يحيى بن خالد البرمكي مع خصم له مجوسي فادعى عليه المجوسي فطلب منه الشاهد فقال ليس لي شاهد فحلفه فحلفت يحيى وارضيت خصمه باحلافه وساويت في التحكم بين يحيى وبين المجوسي اعزة الاسلام وما ملت مع احد قط ولا حابيت أحدا خوفا من ان يسألني الله تعالى عن ذلك بل يجب ان تعرف قدر الزعماء والاكابر وينبغي للاكابر ان لا يظلموا اصاغرهم وان يعظموا أمر الحق ويطيعوا السلطان ولا يعصوه في حال ليكونوا قد عملوا بقول الله تعالى كما تقدم اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه المرتبة الشريفة والدرجة المنيفة ويقرن طاعته بطاعته جل اسمه وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق أن يطيعوه ويخافوه ويجب على السلطان شكر هذه المنة والطاعة لربه وامتثال ما امره به من العدل والاحسان والرأفة بالمظلومين فقد قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر ممن ظلمه الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم حجاب ودعاؤه مستجاب ولا سيما الدعاء في الاسحار * والتضرع في هدو الليل الى الجبار * كما قال الشاعر

تنام وما المظلوم عنك بنائم * ودعوته لا تنثني بحجاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسفت على موت اربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائى لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى عنتر بن شدّاد لفروسيته

(الباب الثانى فى سياسة الوزارة وسير الوزرا)

اعلم ان السلطان يعلو قدره ويحسن ذكره بالوزير اذا كان صالحا عادلا كافيا لانه لا يمكن احد من الملوك ان يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد برايه ضل بغير شك ألا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته امره الله تعالى بمشاورة اصحابه العقلاء فقال عز من قائل وشاورهم فى الامر واخبر فى كتابه عز وجل عن موسى عليه السلام واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى فاذا لم يستغن الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين عن الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس احوج سئل ازدشير بن بابكان اى الاصحاب اصلح للملك فقال الوزير العاقل المشفق الامين الصالح ليدبر معه رأيه ويشير اليه عما فى نفسه وعلى السلطان ان يعامل الوزير بثلاثة اشياء احدها انه اذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثانى اذا استغنى فى دولته واتسعت حاله فى خدمته لا يطمع فى ماله وثروته الثالث انه اذا سأله حاجة لا يتوقف فى قضائها وينبغى ان لا يمنعه من ثلثة أشياء وهى انه متى اختار أن يراه لا يمتنع عن رؤيته وان لا يسمع فى حقه كلام مفسد وان لا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر امر الدخل وبه عمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع اعدائه وهو احق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا رآك على امر لا يجوز لك

لا يوافقك عليه وينبغي للوزير أن يكون مائلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك وأمره منه بالازدياد واذا كان سلطانه ذا حنق غير مشفق على الوزير أن يرشده قليلا قليلا بألطف وجه ويهديه الى الطريقة المحمودة وينبغي أن تعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك وينبغي ان تعلم انه لا يجوز له ان يهتم بغير الخير وتعلم انه اول انسان يحتاج اليه السلطان وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتنصرم بالسرور مدته فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رأيه ويسوس امره والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحصين والمال الكثير الذى يخف محمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسنا لتكون مؤنسة لقلته مزيلة لكربه والطباخ الخبير الذى اذا امسك طبعه دبر له شيأ يطلقه

(حكمة)

قال ازدشير حقيق على الملك ان يكون طالبا الاربعة فاذا وجدهم احتفظ بهم الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير امينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك اهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته

(حكمة)

قال مويد مويدان فى عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب

لا اذا كان الملك تقيا لانه لا ينبغي ان يكون الا الاصل جيدا ثم الفرع ومعنى تقوى السلطان صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا في سائر الامور آمرا بالصحة بأقواله وافعاله ليصح بصحته سائر حشمه ورعيته وان يكون قلبه واثقا بالله وان يرى ان قوته وقدرته وظفره باعدائه ونصرته ووصله الى مراده من الله تعالى وان لا يعجب بنفسه فان العجب خشي عليه الهلاك كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير مملكته وقد حملته الريح في الهواء فنظر سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم لعظيم هيبته وسياسته فاضطرب السرير به وهم بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال استقم انت حتى نستقيم نحن كما قال عز من قائل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال أبو عبيدة في امثاله من سلك الجدأ من العثار ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان الشاب وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من تجارب الايام لا يتعلم من شخص والوزير زين السلطان وزين السلطنه والزين يجب أن يكون صالحا طاهرا من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة أشياء ليحمد خبره وتحسن سيرته التيقظ والنظر في كل أمر يدخل فيه ووجه المخرج منه والعلم حتى تتضح له الاشياء الخفية والشجاعة حتى لا يخاف من شئ في غير موضع الخوف والصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح وكتمان سر سلطانه الى ان يدركه الموت قال ازدشير بن بابكان يجب أن يكون الوزير ساكتا متمهلا شجاعا واسع الصدر حسن المقال مليح الوجه مستحيا صامتا حيث يحسن الصمت ومتكلما اذا حسن الكلام ومع ذلك يجب أن يكون تقيا حسن المذهب

ليطهر

ليطهر نفسه وينفى عنها كلما لا يحسن من الاعتقاد وينبغى أن يكون ذا تجارب ليسهل الامور على الملك وان يكون متيقظا لينظر عواقب الامور ويخاف من تغير الدهور وان يتحفظ أن تصيبه عين الزمان وكل ملك كان وزيره له محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير الاعداء وكان اعداؤه اكثر من اصدقائه ولا يجوز للسلطان ان يسمع فى حق وزيره كلام المحرضين عليه الساعين به اليه ليحسده اصدقاؤه وتنكبت اعداؤه و يجب ان يكون الوزير محمود الطريقة حتى اذا رآى فى الملك خلة مذمومة غير رشيدة رده الى العادة الحميدة من غير غلظة لان الملك اذا كان على مالا يريده الوزير اذا سمع منه مايسمعه منه مما يكرهه من التقريع عمل شرا من ذلك والدليل على ذلك ان البارى جلت قدرته لما ارسل موسى الى فرعون امره بقوله فقولا له قولا لينا فاذا كان الله سبحانه وتعالى امر أنبياءه بذلك فالناس اجدر واولى ان يلينوا مقالهم وان كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه و يصبر على كلامه فى قلبه فان قدرة الملك تنطق لسانه فينطق بما يريد واذا كان الوزير محبا للملك صحيح المقال حسن الفعال فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك ولا يمن عليه (قال اهل الفطنة اذا احسنت الى احد وعددت احسانك اليه كان شرا من الامتنان عليه بتقريعك له وينبغى أن يعلم الوزير وخاصة الملك انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك باقبال الملك وبركة ظله انفعل فالمنة حينئذ تصلح ان تكون له على الخلق واعظم فساد ينشأ فى دولة الملك يكون من امرين احدهما من الوزير الخائن والثانى من نية الملك الرديئة الفاسدة * (قال انوشروان شر الوزراء من جرء السلطان على الحرب وحداه على القتال فى موضع ينصلح الحال بغير حرب لان الحرب فى سائر الاحوال

يغني ذخائر الاموال وفيها تبدل كرائم النفوس ومصونات الارواح وقال أيضا كل ملك كان له وزير احاهلا فمثله كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر ولا يندى ولا يمطر وفي كتاب وصايا ارسطاطاليس كل امر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب والعلماء يضربون هذا المثل ويقولون ينبغي أن تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك وترتيب الوزراء انهم مهما امكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا فان لم تأت الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تأتيها باعطا الاموال وبذل الصلاة والنوال ومتى انهزم لهم عسكر اعفوا من ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحيا ولا يمكن احياء القتلى وان الرجل يصير رجلا في اربعين سنة ومن مائة رجل يكون رجل واحد يصلح لخدمة الملوك وان اسر احد من الجند من اصحاب الملك كان على الوزير ان لا يفتكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم اذا باشروا حروبهم وعلى الوزير ان يحفظ ارزاق الجند كل انسان منهم على قدره وان يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب وان يخاطبهم باحسن كلام ويلين لهم في الكلام ويلطف لهم في الجواب فان الجند قد قتلوا كثيرا من الوزراء في قديم الايام وسالف الاعوام ومن سعادة السلطان ويمن طلعته وقوة جدّه ان يسهل الله له وزيرا صالحا ومشيرا ناصحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بامير خيرقيض الله له وزيرا نصيحا صادقا صبيحا ان نسي ذكره وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب ان الله جل اسمه يظهر قدرته في كل وقت وزمان وحين واوان ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل السلاطين والوزرا واكابر العلماء يعمر بهم الدنيا ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا نظير في الكرم

والسخا

والسخاو بذل المعروف والعطا وكان تحت حكمهم أكثر الولايات الوافرة الارتفاعات وبعد انقراضهم فسدت احوال الوزاره ولم يبق لخدمة الملوك رونق ونضارة الى أن اوجد الله ببركاته سلجوق وظل دولتهم الى النظام واوصلهم الى درجات الوزراء المتقدّمين وارتفع بحيث انه لم يبق فى الدنيا أحد من أهل الفضل والادباء وأبناء السبيل الغرباء من وضيع وشريف الا وهو مشمول باحسانهم مغمور بامتنانهم ولم يكن أحد منهم من خيرهم محرو وما وانما ذكرنا هذا ليعلم من يقرء كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح وقال بزرجمهر لا تقاس الاشيأ بعضها ببعض لان جوهر الناس أجل من كل جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالناس والبارى جلت قدرته لا ينسب الى الخطا وهو واهب الصلاح لمن يشأ فانه يؤتى كل احد مايصلح له ويليق به فينبغى ان تكون وزراء الملوك ومدبروا دولتهم على هذه الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدّمين وطرائقهم وان يلتمسوا الاموال التى تؤخذ من الرعية فى أوقاتها وأحيانها وعند وجوبها وأبانها وليعرفوا الرسوم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها وقدر قوّتها وان يكونوا فى تصيدهم صايدى الكركى لا قاتل العصفور ولا يجوز لهم أن يحرصوا على تناول اموال المواريث مادام الوارث موجودا فالطمع فى ذلك مشؤم غير جائز ويجب عليهم استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوائد والنعم وليعلموا ان كفايتهم وسموّ مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحسن ذكرهم فى الدنيا وينالوا جزيل الثواب فى العقبى

(الباب الثالث فى ذكر الكتاب وآدابهم)

قال العلماء ليس شئ أفضل من القلم لانه يمكن اعادة السالف والماضى ومن فضل القلم وسروره عند الله عز اسمه أقسم به فقال

جل من قائل ن والقلم وما يسطرون وقال تعالى ذكره اقرء وربك
الاكرم الذى علم بالقلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة الحديث
قال عبد الله ابن عباس فى تفسيره هذه الآية الكريمة حكاية
عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم
معناه وكلنى على كنوز الارض انى حافظ ويقال انه صائغ الكلام
قال بن المعتز القلب معدن والعقل جوهر والقلم صائغ والخط
صناعة قال جالينوس القلم طبيب الكلام قال بليناس الحكيم القلم
طلسم كبير (قال) الاسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم
والسيف تحت القلم والقلم ادب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف راى
كل انسان من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه مالم
ينظر فى الكتب لايكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة
ومعلوم أيضا انه لم يمكنه ان يدرك بتجربته ومعلوم أيضا انه لم يمكنه
ان يحفظ بقلبه السيف والقلم حاكمان فى جميع الاشياء ولولا السيف
والقلم لما قامت الدنيا واما الكتاب فانهم لا يجوزان يعرفوا اكثر
من حدود الكتابة ليصلحوا الخدمة الاكابر وقالت الحكماء والملوك
القدماء ينبغى ان يكون الكاتب عالما بعشرة الاول بعد الماء وقربه
تحت الارض ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما فى الصيف
والشتاء ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع
والاستقبال والحساب بالاصابع وحساب الهندسة والتقويم
واختيارات الايام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والادوية
ومعرفة ريح الشمال والجنوب وعلم الشعر والقوافى ومع هذا كله ينبغى
ان يكون الكاتب خفيف الروح طيب اللقا عالما ببرات القلم وقطه
ورفعه وحطه ومهما يكن فى قلمه أظهره بشبا قلمه وان يحرس نفسه
من طغيان قلمه وينبغى للكاتب ان يعرف أى حرف يجوزان يمد

واى حرف يكون مجتمعا متصلا ولا يكتب الخط مبينا ويعطى كل حرف حقه كما يحكى أنه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل فكتب كتابا الى عمرو بن العاصي ولم يظهر سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك الى عملك وأول ما ينبغي أن يعرف الكاتب براية القلم فان الانسان اذا كان يحسن الخط و يقدر ان يبرى القلم فان الخط على كل حال يجئ صالحا كما جاء فى الحكاية

قوله عمر لعل قبله فقال له عمر اظهر السين

(حكاية)

كان لشاهنشاه الرى عشرة من الوزراء وكان فى جملتهم الصاحب ابن عباد فاجتمع الوزراء كلهم على نكبته واتفقوا على التصريب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبرى قلمه فلما علم بذلك جمعهم جملتهم فقال لهم الصاحب الكافى اى ادب فيكم لى مثله حتى تتجاسرو وتتحدثوا عنى بحضرة السلطان شاهنشاه فان أبى علمنى الوزارة ولم يعلمنى التجارة وأقل آدابى أية القلم وهل فيكم من يقدر ان يكتب كتابا تاما بقلم مكسور الرأس فعجز الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب أنت فأخذ الصاحب قلما وكسر رأسه وكتب به درجا تاما فاقر الجماعة بفضله واعترفوا بادبه ونبله واجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر اللون رقيق الوسط والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح للخط العربى والفارسى والعبرى واللسان الدرى يجب ان يكون قلمه محرفا من الجانب الايسر وخير الاقلام ما وصفه جعفر بن خالد البرمكى فى كتاب كتبه الى محمد بن ليث قلم لا غليظ ولا رقيق ويجب ان تكون براية القلم على شكل منقار الكركى محرفا من الجانب الايمن وينبغى أن يكون المقط الذى تقط عليه الاقلام فى غاية الصلابة ويجب ان تكون الانفاس فارسية خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا فى غاية الصقالة وان يجادل الانفاس وكل حرف ازيد من ثلاثة احرف

يجب ان يمدوما كان اقل لا يجوز مده وانه يتوحش بذلك الخط ان تكون صورة الحروف يشبه بعضها بعضا ولا يقدر على ذلك الا حكيم عاقل ومن تعودت بذلك اناملة كان عبد الله بن رافع كاتبا لامير المؤمنين رضي الله عنه فقال كنت اكتب كتابا فقال لي امير المؤمنين يا عبد الله ألق دواتك واطل جلفة قلمك ووسع بين السطور واجمع ما بين الحروف وكان عبد الله بن جبلة كاتبا محسنا فقال لغلمانه لتكون أقلامكم بحرية فان لم تكن بحرية تكن صغرا واقطعوا عقد الاقلام لئلا تتعقد الامور ولا يجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب ختمه وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم أي مختوم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتابا الى العجم وقال انهم لا يريدون كتابا بغير ختم فختمه بخاتمه المبارك وكان على فصه مكتوب محمد رسول الله خبر روى صخر بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب كتابه الى النجاشي رماه على التراب ثم انفذه فلا جرم أنه أسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم تربوا كتبكم فانه انجح لحوائجكم وقالوا تربوا الكتاب فان التراب مبارك واذا كتب الكتاب فليقرأ قبل طيه فان كان فيه خطاء تداركه واصلحه وينبغي أن يجتهد الكاتب ان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وان لا يكرر كلمة يكتبها وان يحترز من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كاتبا محمودا وفي باب الكتابة كلام كثير ونقنع منه بهذا القدر لئلا يطول الكلام فقد قيل خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل

(الباب الرابع في سمو همم الملوك)

قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجتهد ان لا تكون دني الهمة فاني ما رأيت شيئا اسقط لقدم الانسان من تداني همته وقال عمرو ابن العاص المرء حيث وضع نفسه يريد ان عز

نفسه على امره وان ذلها ذل وهان قدره وتفسير الهمة ان يرفع نفسه فان انفة القلب من همم الاكابر لانهم يعرفون قدر انفسهم فيعزونها ولا يعرف احد قدر احد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يخلط بالاراذل ولا يشرع فى عمل مالا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة ويتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

أمر ابو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد وكان هارون الرشيد يوما راكبا فى موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه وقال هذا خطاء فلما نزلا قال هارون أى خطاء بدا منى حتى أشرت الى بعينك فقال لا يجوز ان يجرى على احد من الملوك اقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق امر لا يجوز ان يعطى فيه اكثر من خمسمائة مثل هذا كيف يقال فقال له قل يعطى فرسا فيوصل اليه فرس على جارى الرسم وتكون قد نزهت نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المامون ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المامون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه يقول لغلامه يا غلام قد رأيت فى الرصافة نقلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف درهم وصر الى الرصافة فاتنى بشئ منه فناداه المامون وقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية وترتيب الملك ولا يأتى منك صلاح ولا فلاح

(حكمة)

يقال ان فى وصية نامى ازدشير انه قال اذا اردت ان تهب لاحد
من اولادك شيأ فاجتهد ان لا يكون عطاءك اقل من دخل ولاية
اوقرية اوقيمة بلد اورستاق ليستغنى الشخص الذى تهبه وتزول
حاجته وتستغنى اعقابه بك واولادهم ما عاشوا فيحصل بذلك
فى حساب الاحياء لا فى حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب
فى التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تدانى همة الملك

(حكمة)

يقال انه كان للملك هرمز بن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه
انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة
القيمة وانى اتبعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة الف دينار والان
قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك
فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة الف ومائة الف مثلها
وامثالها ليس لها فى اعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا عملنا نحن
التجارة فمن يعمل السلطنه فانظر ايها الجاهل لنفسك لا تعد الى مثل
هذا الكلام ولا تخلط فى اموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من
ارباح التجارات فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزرى بحسن اسمه
ويعود بقبح قاعدته ورسمه ويضر بصيته فى حال حياته وبعد
وفاته

(حكاية)

حكى ان الامير عمارة بن حمزة كان فى بعض الايام جالسا فى مجلس
الخليفة المنصور ابى الدوانيق وكان يوم نظره فى المظالم فنهض
رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين انا مظلوم فقال من ظلمك
فقال عمارة ابن حمزة اغتصب ضياعى وابتز ملكى وعقارى فامر
المنصور ان يقوم من موضعه ويساوى خصمه للمحاكمة فقال عمارة

ابن

ابن حمزه يا امير المؤمنين ان كانت الضياع له فما اعارضه فيها وان كانت لى فقد وهبتها له ومالى حاجة فى محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكانى الذى أكرمنى به أمير المؤمنين بضياع فتعجبت الاكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والتهمة على شكل واحد وكل انسان له منها نصيب فواحد بالسخا واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعه والزهادة وترك الدنيا واخر بطلب العقبى وآخر بطلب الزيادة واما الهمة بالسخا وبذل المال وابتداء النوال فينبغى ان يكون كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

* يقال ان يحيى بن خالد البرمكى خرج من الخلافه راكبا الى داره رأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا ابا على الى ما فى يديك وقد جعلت الله وسيلتى اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع فى داره وان يحمل اليه فى كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقى على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو اقام عندى مدة عمرى وطول دهره لما منعته صلتى ولا قطعت عنه ضيافتى

(حكاية)

كان لجعفر بن موسى الهادى جارية عوادة تعرف بالبيدر الكبير لم يكن فى زمانها احسن منها وجها ولا أحذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت فى غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعه اياها فقال له جعفر انت تعلم انه لا يجئ من مثلى بيع الجوارى والمساومة على السرارى ولولا أنها مربية دارى لانفذتها اليك ولم انفس بها

عليك ثم ان بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيده الى داره فرتب له مجلس الشراب وامر بدزان تغني له وتطربه فاخذ محمد في الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى سكر واخذ الجارية معه الى داره ولم يعد اليها ابدا ثم رسم من الغد باستدعا جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني من داخل الستارة فسمع جعفر غناها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر تغيرا في محاضرته ثم أمر محمد الامين ذلك الزورق الذي ركب جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع فيه الفي بدرة وجملتها مائة الف الف درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل اكثر من هذا وامر بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر سئل بعض الحكماء من اسوء الناس حالا فقال من كان اكثرهم همة واكثرهم علما واغزرهم فهما واضيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي يتوصل ايخلص من نحوسة حظه وضائقة يده فقال بالملوك الاكابر وذوي الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جاور بحرا او ملكا

حكاية

قال سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتدت بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجز في قضائها وعسر علي اداءها فاحتشد بباب داري ارباب الديون وتزاحم المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وزادت فكرتي فقصدت عبد الله ابن مالك لخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضايقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحتمل ذلك لمصلحة احوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر ابن يحيى ابن خالد

وقصصت

وقصصت عليهما قصتي وابديت لهما صحفتي فقالوا اعانك الله واقام لك الكفاية فعدت الى عبد الله ابن المبارك ضيق الصدر متقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لتنظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد اقبل وقال يا بنا بغال باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج ما الشان فنهضت واسرعت عدوا فرأيت ببابي رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد افضت بك الحال اليه فامرني ان احمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلت له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه فمن اين يقيم وجوه نفقاته فامر بثمان مائة الف درهم اخرى وقد حملت انا من مالي الف الف درهم اخرى فصارت الجملة الفي الف وثمان مائة الف درهم لتصلح بها احوالك

(حكاية)

يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه أنوشروان ورآه وهو يخيفه فجاء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فنادى يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال انوشروان للشرابي مكنهم من الخروج فان الذي سرق ما يعيده والذي رآه ما يغمز عليه وأين كان السخا وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان ويجحد الامتنان لا أصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر نكره

(حكاية)

يقال ان الرشيد استدعى صاحب التاريخ الذي تغير على البرامكة

فقال يا صالح صر الى منصور وقل له لنا عليك عشرة آلاف ألف
درهم ونريد ان تحصلها في هذه الساعة وان لم يحصلها الى المغرب فجز
رأسه عن بدنه واتني به قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ماذكره
اى ماذكره الرشيد من سياسته فقال آه هلكت والله وحلف ان
جميع اسبابه واملاكه لا تزيد قيمتها على مأية الف درهم فمن اين اقدر
على تحصيل عشرة آلاف الف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة
في امرك فاني لا اقدر ان تمهل ولا احابي فيما امرني به فقال العفو
يا صالح احملني الى بيت لا ودع اهلي واولادي وصبيتي واوصي
اقاربي فمضيت معه فجعل منصور يودع اهله وارتفع في منزله البكاء
والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على
ايدي البرامكة فامض بنا الى يحيي ابن خالد قال فاتينا يحيي بن خالد
ومنصور يبكي ويصرخ فعلم يحيي حاله وفهم مانا له فاغتم له واطرق
الى الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه الى خازنه وقال كم في خزانتنا
من الدراهم فقال خمسمائة ألف ألف درهم فامر باحضارها وانفذ
قاصدا الى الفضل ولده وقال له قل له انه قد عرض على البيع ضياعا
جليلة لا تخرج أبدا فأنفذ لنا شيأ من الدراهم فانفذ الفي الف درهم
وانفذ انسانا آخر الى جعفر وقال له قل له قد اتفق لنا شغل ونحتاج
الى شئ من الدراهم فانفذ جعفر الفي الف درهم فقال له يحيي قد صح
تسعة آلاف درهم فقال له منصور يا مولاى قد تمسكت بذيلك
وما اعرف هذا المال الا من انعامك فتمم لي بقية ديني فاطرق يحيي
و بكي وقال يا غلام ان أمير المؤمنين كان قد وهب جاريتنا دنانير
جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها وقل تنفذ لي تلك الجوهرة فمضي
الغلام اليها فاعطته الجوهرة وحملتها اليه فقال يحيي يا صالح انا
ابتعت هذه الجوهرة لامير المومنين من التجار بمائتي الف دينار

و وهبها امير المومنين لدنانير العوادة واذا رآها عرفها وقد تم الآن
مال مصادرة منصور فقال لامير المومنين ليهب لي لمنصور وقال
صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينا نحن في الطريق
انا ومنصور وسمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من ردائه
وفساده وخبث اصله وميلاده والبيت وما ابتغتني مستمسكا بي
ولكن رأيتك خفت من ضرب النبال وقال صالح فرددت عليه
وقلت له ليس على وجه الارض خير من البرامكة ولا اشر منك
فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم
تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار وقلت بالغيب ما قلت ثم
مضيت الى الرشيد وقصصت عليه ما جرى فتعجب الرشيد من
سخاوة يحيى ومروءته وقال شيء قد وهبناه لا نعود فيه وعاد صالح
يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى اذا كان
الانسان مقلا مضيق الصدر مشغول الفكر بضايقه اليد فمهما قاله
يقوله فليس ذلك من قلبه وجعل يتطلب العذر لمنصور فبكى
صالح وقال لا يعود الفلك الداير يخرج الى الوجود رجلا مثلك
لا اخرج قبلك فوا اسفا كيف يتوارى رجل له خلق مثل خلقك
تحت التراب

(حكاية)

يقال انه كان بين خالد ابن يحيى البرمكي وبين عبد الله ابن مالك
الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما
ان هارون الرشيد كان يحب عبد الله الى ابعد غاية بحيث كان يحيى
ابن خالد واولاده يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى
مضى على ذلك زمان والحقد في قلوبهما فولى الرشيد امارة أرمينية
لعبد الله ابن الخزاعي وسيره اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له
ادب وزكاء وفطنة فضاق ما بيده وفني ماله فزور كتابا عن يحيى ابن

خالد الى عبد الله بن مالك الى ارمنية وسافر به الى عبد الله فحين
وصل الى باب داره سلم الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب
الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فحين
دخل الرجل وسلم ودعا له وقال عبد الله احتملت بعد الشقه وثقل
المشقه وجئتنا بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب
سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك
وصولى فلا تحتج فى منعى بحجة وأرض الله واسعة والرازق حى
مبين والكتاب الذى اوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله انا
اعتمد معك امرين وهما أنى أكتب كتابا الى وكيلى ببغداد وامره
ان يسأل عن هذا الكتاب الذى اتيت به فان كان حقا اعطيتك
امارة بعض بلادى وان اثرت العطا اعطيتك مائة الف درهم مع
الفرس والخلعة والتشريف وان كان كلامك كذبا عجلت عليك
الهلاك حتى لا يتطاول احد الى مثل هذا الامر ثم انه كتب الى وكيله
ببغداد يقول انه قد وصل الى رجل ومعه كتاب يذكر انه من يحيى بن
خالد وانا سيئ الظن فى هذا الكتاب فيجب ان تحقق هذا الحال
لنعلم صدقه من كذبه فعرفنى الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى
وكيله ومضى الى دار يحيى ابن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه
جالسا فسلم الكتاب اليه فقرأه خالد ثم قال للوكيل عد الى من الغد
لاكتب الجواب والتفت الى ندمائه وقال ما جزاء من تحمل عنى كتابا
وزورمنى خطابا الى عدوى فقال كل واحد من الندماء شيأ وجعل
كل انسان منهم يعدد نوعا من العقاب وجنسا من العذاب فقال
لهم يحيى لقد اخطأتم وهذا الذى ذكرتموه من خسة الهمم وتدانيا
وكلكم تعرفون قرب عبد الله ودنوه عند أمير المؤمنين وتعلمون
ما بينى وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله
متوسطا فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو حقد عشرين

سنة من قلوبنا واتصلح بواسطته صورتنا وقد وجب على ان آفى
لهذا الرجل بتأمله واصدق ظنونه واكتب له كتابا الى عبد الله
ليتوفر على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه ذلك
دعواله بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسمو همته ثم طلب الكاغد
والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وفضضته وقرأته وسررت
بسلامتك وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر
زور عنى كتابا ولفق خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته
وعلى يده انا انفذته وليس بمزور عنى وتوقعى من كرمك وحسن
شيمك ان تفى لذلك الرجل الحر الكريم بأمله وتوف له حرمة قصده
وتوصله وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما
فعلته فى حقه انا المعتد به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه
وسلمه الى الوكيل وانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرءه ابتهج
بما حواه واحضر الرجل وقال اى الامرين اللذين ذكرتهما تختار
فقال له الرجل العطاء أحب الى فأمر له عبد الله بمائتى الف درهم
وعشرة افراس عربية خمسة منها بالمراكب المحلاة وخمسة
بالجلال وعشرين تخت من الثياب وعشرة من المماليك ركاب
الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة وسيره فى صحبة مأمونه
الى بغداد فلما وصل الى اهله قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن
فدخل الحاجب على يحيى وقال له يا مولاى ببابنا رجل ظاهر
الحشمة البزة حسن الحالة كثير الغلمان فأذن له فى الدخول فدخل
وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك فقال له انا الرجل
الذى كنت ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان فانشرتنى
واحييتنى أنا الذى كنت حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله
ابن مالك فقال له يحيى ما الذى فعل واى شئ اعطاك فقال من

بركتك وظلك وهمتك وفضلك أعطانى واغنانى وقد حلت جميع
عطيته وهاهى ببابك والامر اليك والحكم فى يدك فقال له يحيى
صنعك معى اكثر من صنعى معك ولك المنه العظيمة على واليد
الجسيمة اذابدلت العداوة التى كانت بينى وبين ذلك الرجل المحتشم
بالصداقة وانت كنت فى ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثل
ما وهب لك ثم أمرله من المال بمثل ما أعطاه عبدالله وانما اوردنا
هذه الحكاية ليعلم من يقرؤها أن الانسان اذا كانت همته عالية
لا يضيع ابدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس الطبع لا لتجا
الى عمل دنى وتعلق بلئام الناس لكنه لما كان همته سامية تهور
واقدم وخاطر مع رجل محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق
فوصل بذلك التهور الى مراده وانظر الى الرجلين الكريمين
المحتشمين الزعيمين والى سموهما كيف عاملاه وعاذا قابلاه
ولم يريا فى مروتهما عقوبته وعذابه ونال ببركتهما طلابه وتخلص
من شدة زمانه وضايقته وأفلت من شرك محنته وعاد ذا نعمة سنية
ورتبة عالية وحصلا بجميل الذكر وجزيل الاجر

(حكاية)

يقال أنه تفاخر عبدان عبد لبنى هاشم وعبد لبنى امية فكل واحد
منهما قال مولاى اوموالى اكرم من مواليك فقالا نمضى الآن
ونجرب فمضى مولى عبد بنى امية الى بعض مواليه وشكى
من ضايقته وتألم من فاقته فأعطاه عشرة الاف درهم ومضى الى
اخر من مواليه فاعطاه عشرة الاف درهم حتى طاف على عشر
منهم فاجتمع له مائة الف درهم وقال للآخر امض أنت الى بنى
هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم فأتى عبد مولى بنى هاشم الى
الحسين ابن على رضى الله عنهما وشكى حاله اليه فقره وما افضى
اليه فأعطاه مائة الف درهم ثم مضى الى عبدالله ابن جعفر وشكى

اليه

اليه فأعطاه مائة الف درهم ثم مضى الى عبد الله بن ربيعة فأعطاه مائة الف درهم فاجتمع له من ثلثه ثلثمائة الف درهم فمضى بالمال الى مولى بني امية فقال له ان مواليك تعلموا الكرم من موالى ولكن عدبنا لنجربهم ثانية ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني اميه اليهم وقال قد استغنيت عن هذه الدراهم وقد سهل الله لى من مكان فتوحا أسد به فقرى ولم يبق لى فى هذا المال حاجة وقد أعدته فاخذ كل واحد منهم دراهمه وحمل مولى بني هاشم الدراهم الى سادته وقال لهم قد تيسر لى من مكان مازالت به حاجتى وانقضت فاقتى وقد اعدت المال الذى اخذته منكم فاستعيدوه فقالوا له نحن لا نأخذ شيأ قدوهبناه ولا نعوده باتنا تخلط باموالنا فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به

(حكمة)

قال بعض العلماء اجلال الاكابر من الجلال واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الاكابر من الجلال والهمة بغير ألة خفة وانما الهمة مع الجدّ تجل وتلطف وتحسن ونظر * فلان الرجل * اذا كان ذاهمة وجدّه غير مساعد لم يكن له من همته سوى الانحطاط لانه يجب أن تكون الهمة علوية والجدّ عاليا وقد قيل أيضا الكلام بالدرجة والعمل بالقدر وينبغى أن تكون الهمة الى بغداد والزاد الى فرسخين) ولد الحلال) كان عبد العزيز بن مروان أميرا بمصر فركب يوما بموضع واذا رجل ينادى ولده يا عبد العزيز فسمع الامير نداه فأمر له بعشرة ألاف درهم لينفقها على ذلك الولد الذى هو سميه ففشا الخبر بمدينة مصر فكل من ولد له فى تلك السنة ولد سماه هو عبد العزيز ضدّه وبضد ذلك كان الحاجب تاش الامير الحاجب الكبير بخراسان فاجتاز يوما بصيارف بخارا ورجل ينادى غلامه وكان اسم الغلام تاش فأمر بازالة الصيارف ومصادرتهم

وقال انما اردتم الاستخفاف باسمي فانظر الان الفرق بين الحر القرشي
وبين المملوك المسترق بالدرهم وفي هذا الباب كلام طويل اذا ذكرناه
طال الكتاب وينبغي ان تعلم ان لهمة وان تأخرت فانها توصل
الانسان لي مراده كما قال الشاعر

لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب
للزاد ما كنت من حاميه اخطبه
سعيي لمجدي ولولا صدق معرفتي
اني سأدركه ما كنت اطلبه

اما المحمود في الرجال ان لا يتجاوز الرجل بهمته فوق قدره وقدرته
لئلا يعش مغتما طول حياته ومدته كما قال

ان كنت تقنع بالكفاية لم يكن * بالدهر ارفه منك عيشا فيه
او كنت فيما فوق ذلك طامعا * لم تكفل الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذي * لا تستجيب لنيل ما تبغيه

(الباب الخامس في ذكر حكم الحكماء)

اما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء وقال
سقراط مثل من آتاه الله الحكمة وهو يغتم بالمال كمثل من يكون
في صحة وسلامة فيبيعها بالتعب والوصب وان ثمرته الراحة والعلا
وثمرة المال التعب في البلا قال ابن المقفع كان لملوك الهند كتب
كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فامروا حكماءهم ان يختصروها
فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها على اربع كلمات احدها
للملوك وهي العدل والثانيه للرعية وهي الطاعة والثالثة للنفس
وهي الامساك عن الاكل وقت الجوع والرابعة للشان وهو ان
لا ينظر الى نفسه

(حكمة)

قال بعض الحكماء الناس اربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك

عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناس فذكروه
ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فذاك مسترشد فأرشدوه
ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذاك جاهل فاحذروه فأى
شئ أبعد قال الاعمل وقال الاحنف بن قيس شيآن لا تتم معهما
حيلة اذا اقبل الامر فليس للادبار فيه حيلة واذا ادبر فليس
للاقبال فيه حيلة وقال لقمان الحكيم لابنه شيآن اذا حفظتهما
لا تبالى بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك

(حكمة)

سئل أنوشروان بزرجمهر لاى سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا
ولا يمكن ان يجعل العدوّ صديقا فقال لان تخريب العامر اسهل
من عمارة الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه
اذا كان مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرف الادوية وترك
الذنب خير من الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن
ومخالفة الهوى النفسانى والانكسار خير من دخول النار

(حكمة)

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدّة سنين وكان
يعلم الناس هذه الكلمات الست وهى من ليس له علم فليس له عز
فى الدنيا والآخرة ومن ليس له صبر فليس له سلامة فى دينه ومن
كان جاهلا لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فما له عند الله كرامة ومن
لا سخاء له فما له من ماله نصيب ومن لا نصيحة له فما له عند الله حجة

(حكمة)

سئل بزرجمهر اى عز يكون متصلا بالذل فقال العز فى خدمة
السلطان والعز مع الحرص والعز مع الشفقة وسئل بزرجمهر بما ذا
يؤدب البله فقال بان يؤمروا بكثرة الاعمال وان يستخدموا

فى مشقات الاهوال بحيث لا يجعل لهم الى الفضول فراغا فقيل بماذا يؤدب الاخسا فقال باهاتهم واحتقارهم ليعرفوا وضاعة اقدارهم فقيل وبماذا يؤدب الاحرار فقال بالتوقف فى قضا حوائجهم وسئل ايضا من الكريم فقال من يهب ولا يذكر انه وهب وقيل له لاى سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يراد المال لاجله خير وقيل له يكون شئ اعز من الروح بحيث يعطى الناس فيه ارواحهم ولا يبالون فقال ثلاثة هى اعز من الروح الدين والحقد والخلاص من الشدائد وسئل ايضا فى اى شئ تكون زينة العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة قال يونان الوزير اربعة اشيا من عظيم البلاء كثرة العيال مع قلة المال والجار السئ الجوار والمرأة التى لا بقية ولا وقار واتفق أهل الدنيا على ان أعمال الدنيا خمسة وعشرون وجها خمسة منها بالقضاء والقدر وهى طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار وخمسة منها بالطبع وهى الوفاة والمداراة والتواضع والسخاء والصدق وخمسة منها بالعادة وهى المشى فى الطريق والاكل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالارث وهى الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناة ويقال ثلاثة من الشدائد التى لا يجوز للعقلا نسيانها وهى فناء الدنيا وانقضاؤها وتقلب احوال الزمان ومحن الدهور ستة تساوى الدنيا الطعام السائغ والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق والامير المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام

(حكمة)

قال

قال الحكيم خمسة اشياء ضائعة السراج المضيئة فى الشمس والمطر فى السباخ المالحة والمرأة الحسناء عند الاعمى والطعام الطيب يقدم بين يدى الشبعان وكلام الله تعالى فى صدر الظالم سئل الإسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال لانّ أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية وقال اذا كانت بقسمة الله تجرى الامور فالاجتهاد محضور وتاركه مشكور وقال اذا لم يمش معك الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما يريد فالانسان عبد الزمان والزمان عدو الانسان وكل نفس تنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من الممات

(حكمة)

سأل قوم من الحكماء لبزرجمهر فقالوا عرفنا من أبواب الحكمة ما ينفع أرواحنا وأشباحنا نجتهد فيه وما يضرنا نبعد عنه والله يجازيك عن أحسانك فقال اعلموا وتيقنوا أن أربعة من الاشيا تزيد نور العين وتحد النظر وأربعة تنقص نورها وأربعة أشياء تسمن الجسم وتخصبه وأربعة تضعفه وتهزله وأربعة تحيى القلب وأربعة تميته أما التى تزيد فى نور العين فهى الخضرة والماء الجارى والشراب الصافى والنظر الى وجوه الاحباء وأما الاربعة التى تنقصه فهى أكل الطعام المالح وصب الماء الحار على الرأس والنظر الدايم فى عين الشمس ورؤية العدو وأما الاربعة التى تسمن الجسم وتخصبه فهى الثوب الناعم وخلو البال من الاحزان والرايحة الزكية والنوم فى المكان الساخن وأما الاربعة التى تضعفه فاكل اللحم القديد وكثرة الجماع وطول المكث فى الحمام ونوم العشايا ولبس الثوب الخشن وأما الاربعة التى يصح بها الجسم فأكل الطعام فى وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الاعمال المشقة وترك الحزن على غير موجب وأما الاربعة التى تكسر البدن دائما فسلوك

الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون والمشي على التعب ومجامعة العجوز وأما الاربعة التي تحيي القلب فالعقل النافع والاستاذ العالم والشريك الامين والزوجة الموافقه والصديق المساعد وأما الاربعة التي تميته فبرد الزمهرير وحر السموم والدخان الكريه ومخافة العدو وقال سقراط الحكيم خمسة أشياء يهلك المرء فيها نفسه خديعة الاصدقاء والالتفات عن العلماء واحتقار الرجل نفسه واحتمال تكبر من لا يسوى واتباع الهوى

(حكمة)

قال بقراط خمسة أشياء لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر واذن من خبر ونار من حطب وعالم من علم

(حكمة)

وسئل حكيم ما امر الاشياء فى الدنيا وما احلاها فقال امر الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لا قيمة له والدين الفادح وضايقة اليد واحلى الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار وسئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وسئل حكيم ما الغنا فقال القناعة والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت فى حسرة سئل ارسطاطاليس اى صديق اوثق واى صاحب اشفق فقال الصديق الاصيل اوثق والصاحب القديم اشفق وتدبير العقلاء افضل

(حكمة)

قال جالينوس سبعة اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب والحجامة على حرز العنق والبول فى الماء الراكد وأكل الحوامض والنظر فى وجه الميت والنوم الكثير وطول النظر الى اماكن الخراب وقال أيضا فى كتاب الادوية ان

النسيان

النسيان يحدث من سبعة اشياء وهى البلغم وضحك القهقهة واكل المالح واللحم السمن وكثرة الجماع والسهر مع التعب وسائر الرطوبات والبرودات فان اكلها يضر ويجلب النسيان

(حكمة)

قال ابو القاسم الحكيم فتن الدنيا تنشأ من ثلثة نفر من قائل الاخبار وطالب استماع الاخبار ومتلقى الاخبار فهؤلاء الثلثة لا يخلصون من الملامة

(حكمة)

يقال ثلثه اشياء لا تجتمع مع ثلثها اكل الحلال مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق المقال مع الكلام

(حكمة)

قال بزرجمهر الحكيم ان شئت ان تصير من جملة الابدال تحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال فقيل له كيف ذلك فقال فى الاطفال سبع خصال لو كانت فى الكبار لكانوا ابدالا وهوانهم لا يغتمون للرزق واذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم تعالى وانهم يأكلون الطعام مجتمعين واذا تخاصموا لم يتحاقدوا ويسارعون الى الصلح وانهم يخوفون ويخافون بادنى تخويف وتدمع اعينهم

(حكمة)

قال وهب بن منبه فى التوراة اربع كلمات مكتوبة وهى كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد

(حكمة)

قال بعض الحكماء اصل الزعامة العطف واصل الذنب العجلة واصل الذل البخل

(حكمة)

قال الحكيم ينبغي للانسان ان يكون بقلبه خادما وبقالبه متقدما وبعادته ابلها اى يتجاوز عن الجيد والردى وينبغي ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يصيب الغرض من لم يكن راميا

(حكمة)

قال الاحنف بن قيس لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لدنى ولا زعامة لسئ الخلق

(حكمة)

قال ذوالرياستين اشتكى رجل من خصم له الى الاسكندر فقال الاسكندر اتحب ان اسمع كلامك فيه على ان اسمع كلامه فيك فخاف الرجل وامسك فقال الاسكندر كفوا انفسكم عن الناس لتأمنوا من ناس السوء

(حكمة)

قال بزرجمهر العوافى اربعة عافية الدين وعافية المال وعافية البدن وعافية الاهل فاما عافية الدين ففى ثلاثة اشياء انك لا تتابع الهوى وان تعمل باوامر الشرع وان لا تحسد أحدا وعافية المال فى ثلثة اشيا ايضا امعان النظر واداء الامانة واخراج الحق من المال وعافية البدن فى ثلثة قلة الاكل والاقلال فى الكلام والاقلال من النوم وعافية الاهل فى ثلثة القناعة وحسن العشرة وحفظ طاعة الله تعالى وسئل حاتم الاصم لاى سبب لا نجد ما تجده المتقدمون فقال لانكم فاتكم خمسة اشياء المعلم الناصح والصاحب الموافق والجهد الدائم والكسب الحلال والزمان المساعد خبر جاء فى الخبر ان رسول الله صلى عليه وسلم قال يا على اقبل على بوجهك واخل لى

قلبك

قلبك وسمعك كل وغط واجمع وهب وتشدد فقال على ما معنى هذه الكلمات يا رسول الله فقال يا على كل الغضب وغط عيب اخيك وهب ظلم الظالم واجمع لذلك القبر الضيق المظلم وتشدد فى دين الله والاسلام

(حكمة)

قال رجل لبعض الحكماء اوصنى فقال انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه

(حكمة)

سئل بعضهم اى شئ اكبر بين الخلق فقال كثرة التدبير وليس قدره مع الاستكثار لا يزول الحاجة والعبد يحرص على كل شئ الا على الفقر وليس يحرص عليه احد لان الخلق كلهم يطلبون الغنا ولا يحرص احد على الغم لان الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص احد على الموت لانهم يحرصون على الحيوة قال ابو القاسم الحكيم هلاك العبد فى شيئين المعصية والانفراد بالاراء فى القرا

(حكمة)

بلاء الخلق من ثلثة العلماء المضلين والقراء البله والعوام الحسدة وقيل لا تطلب وفاء من خسيس الاصل ولا تطلب صحة من طامع وقال الحكيم شيئان غريبان فى هذا الزمان الدين والفقر وقال ان حفظت اربعة احوال كنت من جملة الرجال احدها سرك يجب أن يكون بحيث اذا علمه الناس رضيت الثانى علانيتك بحيث لو اقتدا بك الناس جاز لك الثالث أن تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته لنفسك الرابع أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها

(حكمة)

قال الحكيم ينبغى أن تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلثة وهى ان تنظر الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر وان تنظر الى الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد وان تنظر الى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة

(حكمة)

قال وهب بن منبه قرأت فى التوراة ام المعاصى ثلثة الكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة أشياء كثرة الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس وقال من خلص من ثلثة فمأواه الجنة وهى المنة والمؤنة والملامة اذا احسن لم يمن باحسانه وان يخفف موتته عن الناس واذا رأى أحدا لم يلمه

(حكمة)

يقال ان ابن القرية دخل على الحجاج وقال له ما الكفر فقال البطر بالنعمة واليأس من الرحمة فقال ما الرضاء فقال القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاثرة فقال ما الصبر فقال كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة والرضاء عند الغضب فقال ما الكرم فقال حفظ الصديق وقضاء الحقوق فقال ما القناعة فقال الصبر عن الجوع والعرى عن اللباس فقال ما الغنا فقال استعظام الصغير بالالة الحقيرة فقال ما الحمية فقال الوقوف على رأس من هو دونك فقال ما الشجاعة فقال الحملة فى وجوه الاعداء والكفار والثبات فى موضع الفرار وارضاء الرجال قال ما العدل قال ترك المراد وصحة السيرة والاعتقاد فقال ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس فقال ما الذل قال المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق فقال

ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجا فقال ما الامانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال التراخي مع القدرة فقال ما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقايقها

(حكمة)

قال الحكيم ثمانية تجلب الذلة على أصحابها وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على صاحب البيت والطامع في الاحسان من أعدائه والمضي الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لا يستمع كلامه ومن صادق من ليس باهل

(حكمة)

سئل بزرجمهر أي شئ يقبح بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل ممدوحا ولا ذو غضب مسرورا ولا غافل حريصا ولا ترى كريما حاسدا ولا قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا

(حكمة)

قال الحكيم خمسة يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور والمنقطع عن اخوانه اذا نالته شدة ومن أمكنته فرصته على أعدائه ثم يعجز عن انتهازها ومن أبتلى بامرأة سوء وتذكر المرأة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على ارتكاب الذنوب

(حكمة)

سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس بعالم وقال حكيم العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن وقال بزرجمهر أصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة محب

فارق حبيبه ووالد شفيق ضل عنه ولده وغني عاد فقيرا

(حكمة)

قال حكيم خمسة يكون المال اعز من نفوسهم وأرواحهم عليهم وهم المقاتل بالاجرة وحفار الابار وراكب البحر للتجارة والحواء الذي يتصيد الحيات بيده واكل السم بالمراهنة

(حكمة)

قال عمرو بن معدى كرب الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الصخور والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير وقال الحكيم الحزن مرض الروح كما ان الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك الا ان احمر وجهي مرة من الحيا ولو اعطيتني لم يصفر وجهي وهي أمر من مطالبتك بألف مرة

(حكمة)

وقال حكيم من لم يزرع قيمته لم تساوى شيأ قيمته وقال من ليس له لب ولا خطر فهو شجرة بلا ثمر وقال من سل سيف البغي قتل به نفسه ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته ومن أطلق يده بالعطا اشرف وجهه بالضياء وقال من تحرز من ذنوبه فقد تعلقت به وقال الشباب رضيع الجنون والشيب قرين التوقير والسكون وقال تزود طاهر الزاد ولا تخف من الاضداد

(عظة)

قال لقمان الحكيم كنت اسير في طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت ما انت ايها الرجل فقال آدمي قلت ما اسمك قال حتى انظر بماذا اسمي نفسي فقلت له من اين يعطيك فقال من حيث يشاء

فقلت طوبى لك وقرة عين فقال ومن الذى يمنعك عن هذه الطوبى وقرة العين

(حكمة)

ثلاثة تذهب الغم عن القلب صحبة العالم وقضاء الدين ومشاهدة الحبيب وقال شيآن يجلبان الحزن الى القلب الطمع فى جود البخلاء والمزاح مع الوضعاء وقال تجنب من اربعة اشياء لتخلص من اربعة اشياء تجنب من الحسد لتخلص من الحزن ولا تجالس جليس السوء وقد تخلصت من الملامة ولا تركب المعاصى وقد خلصت من النار ولا تجمع المال وقد استرحت من عداوة الخلق

(حكمة)

قال الحكيم اربعة اعمال مذمومة يعلمها الناس ويجاوزون بها فى الدنيا والآخرة احدها الغيبة فقد قيل الغيبة فارس يلحق سريعا الثانى احتقار العلماء لانه من حقر العلماء عاد حقيرا الثالث كفران نعم الله تعالى الرابع قتل النفس وللاكابر والحكماء مثل قديم وهو قولهم كل قاتل مقتول بعد حين كما قال الشاعر

اذا امكنت بالسكين كفا * لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأى عيسى قتيلا فى طريق * فعض على انامله طويلا
وقال لمن قتلت تراك حتى * غدوت كما ارى ملقى قتيلا
وقاتلك الذى اراك ايضا * يذوق القتل فليطل العويلا

(الباب السادس فى شرف العقل والعقلاء)

ان الله تعالى جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خلق العقل على احسن صفة وقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ما خلقت فى خلقى شيأ اعز منك بك اخذ وبك اعطى وبك احاسب وبك اعاقب والدليل على صحة هذا ان لله تعالى على العباد شيئين

الامر والنهى وكلاهما موقوفان علـى العقل كما جاء فى محكم التنزيل قوله جـل ذكره فاتقوا الله يا اولى الالباب واولوا الالباب هم ذووا العقول واشتقاق العقل من العقال والمعقـل المنيع القلعة عـلى رأس الجبل لا تصـل اليها يد احـد لامتناعها وقوتهـا واحكامها

(حكمة)

سئل حكيم الفرس لم سمى العاقل عاقـلا فقال لان للعاقل أربع علامات يعرف بها وهى ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه وان يتواضع لمن دونه وان يسابق الى فعـل الخير لمن هو اعلى منه وان يذكر ربه دائما وان يتكلم عن العلم وان يعلم منفعة الـكلام فى موضعه واذا وقع فى شدة التجا الى الله تعالى وكذلك الجاهل له علامات وهو ان يجور عـلى الناس ويظلمهـم ويعسف لمن دونه ويتـكبر عـلى الزعمـاء والمتقدمين وان يتـكلم بغير علم وان يسكت عن الخطا واذا وقـع فى شدة اهلك نفسه واذا راى أعمال الخير لفت عنها وجهه

(حكمة)

قال سعيد ابن جبير ما رأيت الانسان لابسا اشرف من العقل ان انـكسر صححه واذا وقع اقامه واذا ذل اعزه واذا سقط فى هوة جذبه بضبعه منها واستنقذه وان افتقر اغناه واول شئ يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

انه ما كان فى خلفاء بنى العباس خليفة اعلم من المؤمون فى جميع العلوم وكان له فى كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمـتكلمون فدخل بعض الايام مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس فى أواخر النـاس وقعـد من ورا الفقهاء فى مكان مجهـول فلمـا ابتـدوا

في المسائل وكان رسمهم انهم يديرون المسئلة على جماعة اهل المجلس وكل من عرف زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها فذكرت المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فاجاب عنها بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون فأمر ان يرفع من ذلك المكان الى موضع اعلى منه فلما وصلت المسئلة الثانية اليه اجاب بجواب احسن من جوابه الاوّل فأمر المؤمون ان يرفع الى اعلى من تلك المنزلة فلما وصلت المسئلة الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاوّلين فأمر المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فأكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا فقرب المأمون ذلك الرجل وادناه وطيب قلبه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم عبى مجلس الشراب ونضده وحضر الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وقف قائما على قدميه وقال ان اذن امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقال قل ما تشاء فقال قد علم الرأى العالى زاده الله تعالى علوّا ان هذا العبد كان اليوم في المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان امير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذى ابداه جعله معروفا واعلى درجة وبلغ به من الغاية التى لم تسم اليها همته والآن تريد ان تفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى اعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذى معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب باعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب ادبه فعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا ورجع الى اعين الناس حقيرا مجهولا فان رآى ان لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمته فعل ذلك متطولا فلما سمع المأمون منه

هذا الكلام مدحه وشكره واجله فى مرتبته ووقره وامر له بمائة الف
درهم وحمله على فرس واعطاه ثياب تجمل وكان كل مجلس يرفعه
على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى منزلة وانما
اوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان العقل يوصل صاحبه
الى كل درجة عالية ومرتبة سامية وان الجهل يحط صاحبه عن
درجته ويهبطه عن مكانته

(حكاية)

يقال انه جاء فى بعض الايام رجل الى باب دار ابى الدوانيق المنصور
وقال للحاجب اعلم امير المؤمنين ان بالباب رجلا من اهل الشام
اسمه عاصم وهو يذكر انه كان فى الزمان الماضى بينه وبين امير
المؤمنين مصاحبة مدة سنة اقل او اكثر فى التعليم والدروس
وقد وصل الآن للسلام ولتجديد العهد بالامام فلما عرفه
الحاجب بذلك اذن له فلما دخل وسلم ثقل قدومه على ابى الدوانيق
لغثاثة منطقه وسوادبه فأجلسه وسأله وقال لاى حاجة قدمت
فقال لرؤية امير المؤمنين بوسيلة تلك الصحبة القديمة فأمر له بألف
درهم فأخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة وكان قد مات
للمنصور ولد وهو جالس فى عزيته فدخل الرجل وسلم عليه ودعا
له فقال الخليفة فيم قدمت فقال انا ذلك الرجل الذى كنت اتعلم
معك العلم بالشام وقد اتيت معزيا لك برزيتك ومؤديا حق
عزيتك فأمر له بخمسمائة درهم وكان ابو الدوانيق سفلا بخيلا ولم
يكن فى بنى العباس ابخل منه ولهذا القلب بابى الدوانيق ثم عاد
ذلك الرجل اليه بعد سنة اخرى فلم يجد حجة يحتج بها فى الدخول
عليه الا انه دخل فى جملة الناس وسلم فقال له الخليفة لاى سبب
وصلت فقال انا الرجل الذى كنت معك بالشام للتعليم وكتابة
الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت معك دعاء للحاجة

كل من دعا به فى حاجة قضى الله حاجته وقد ضاع ذلك الدعاء منى
وقد اتيت امير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء واحفظه فقال
له المنصور لا تتعب فى طلب ذلك الدعاء فانه غير مستجاب فانى
دعوت به منذ ثلاث سنين ليخلصنى الله من صداعك فلم أخلص
ولو كان مستجابا كنت قد خلصت منك فخجل ذلك الرجل لما سمع
هذا الكلام وانما اوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان عالما
ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته

(حكاية)

يقال ان فى ذلك العصر أيضا وصل رجل من مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم الى المنصور بحكم صداقة كانت بينهما قديما فلما رأى
صار خليفة الزمان قدم عليه ووفد اليه وكان الرجل عاقلا لبيبا ولم
يكن عالما فلما رآه قربه وأزلفه واستدعاه وقرب منزلته فقال ذلك
يا أمير المؤمنين انا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص فى الطاعة
والولاء غير انى لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغى ان ازورك بحيث
لا يظهر منى سوء ادب ولا اثقل على قلبك فقال له المنصور أخر
الزيارة واذا زرتنى فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة اذا غبت
فيها لم انسك واذا حضرت لم أملك وازدادت عندى محبتك على
ما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا حتى يقربك الحاجب
منى بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء الادب ولا تسئل
حاجتك لئلا تثقل على قلبى واذا احسنت اليك فاشكرنى فى كل
مجلس تحل فيه وكل منزلة تنزلها بحيث اذا بلغنى ذلك سررت
بشكرك وازددت فى برك ولا تذكر فى المجالس ما جرى بينى وبينك
فى الزمان الماضى فقبل الرجل هذه الوصايا فكان يأتى فى كل سنة
يمضى الى سلامه مرتين وكان الخليفة يعطيه فى كل مرة الف درهم
وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل ولم يكن عالما فان

عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت اموره جميعها منعكسة منقلبة ومن كان تمام العقل والعلم كان فى الدنيا نبيا او حكيما او اماما فان جمال الانسان وعزه ومرتبته وصلاح احوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه وتكامل صفاته واقسامه كما قال الشاعر فى شعره

شعر بالعقل ينال المرء اوج البدر والعقل به الجاه وسامى القدر والعقل يغسل عار الوزر فى التاج مع نفاذ الامر العقل اول الايمان ووسط الايمان وآخر الايمان وقال بعض القدما ليس العقل ان الانسان اذا وقع فى أمر اجتهد فى حسن خلاصه منه بل العقل أن يجتهد أن لا يوقع نفسه فى أمر يحتاج الى الخلاص

(حكمة)

قال برويز الملك لولده احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم عليك فكما ينبغى أن يقبل الناس أمرك فكذلك ينبغى أن تقبل أمر العقل

(حكمة)

كتب الوزير يونان كتابا الى العادل أنوشروان وأدى رسائل فى باب العقل وما يأمر به العقل فشكره أنوشروان وأمر أن يكتب اليه جوابا وقال أيها الحكيم لقد أحسنت فى تأدية رسالة العقل لاننا ومن تقدّمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل اقرب الى الله تعالى عزوجل والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن فى كل أحد وهو فى الاكابر والزعماء أحسن والعقل فى جسد الانسان كالرطوبة فى الشجرة لان الشجرة ما دامت رطبة طرية كان الخلق من اريجها ونشر ازهارها

وطيب

وطيب ثمارها ونضارتها وطراوتها في سرور وغبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وقلت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوى القطع والاحراق والقلع وكذلك الانسان مادام عقله قويما وجسمه سليما فصحبته مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا زال عقله وغلب عليه جهله فحينئذ لا يصلح للحياة ولا يستره غير الوفاة وقال أنوشروان كيف يسعني أن اخالف العقل ولا أفعل ما يأمرني به العقل فانه ليس للملك ولا للرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين القبيح والمليح والجيد والردى والحق والباطل والصدق والكذب وقال بزرجمهر شيأن لا يمكن وجودهما في شخصين كاملين العقل والشجاعة

(حكمة)

وقال لقمان الحكيم مهما كان الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه مالم يكن العقل لعلمه مصاحبا

حكمة

سأل أنوشروان بزرجمهر من تحب أن يكون اعقل الناس قال العدو واذا عاداني فقال ولم قال لامن اساءته وكل شيء اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كثر كان صاحبه اعز

(حكمة)

وقيل لبزرجمهر اى شيء من الاشياء لا بد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر شيء لا يوجد في احد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنا اعز من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من عان علمه اوفر كانت حاجته الى العقل أكثر والمثل في هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذى لا عقل له وقالت العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة

الفهم وسرور الروح بالعقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره وعقل ثم ينبسط فى جميع الجسد والعاقل لا يغتم ابدا الانه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بأمر لا يجوز لمثله الاهتمام

(حكمة)

سئل ابن عباس رضى الله عنه العقل خير ام الادب فقال العقل لان العقل من الله تعالى والادب تكليف من العبد وسئل عبد الله ابن المبارك العقل خير ام الادب فقال العقل فقيل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ينبغى ان تعمل والعقل انك اذا علمت عملت قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قسم الله لعباده خيرا من العقل ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصايم وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل

(حكمة)

قال رجل لاقليدس الحكيم لا استريح او اتلف روحك فقال انا لا استريح حتى اخرج الحقد من قلبك قال الحكيم كما يفوح من الميتة الرايحة المنتنه كذلك يفوح من الجاهل نتونة الجهل فتضربه وبجيرانه واقاربه

حكمة

سئل حكيم ما العقل فقال شداد وعقدة بين ثلثة وعشرين شيأ فلولا هذه العقدة لاختلط الجيد بالردى اولاهو عقده بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الحذر والتهور وبين الاسلام والغفلة وبين اليقين والشك وبين العافية والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن الخلق والفضاحة وبين التواضع والكبر وبين العداوة والصداقة وبين المدح والذم وبين السهو والجهل وبين

الحياء والقحة وبين الحق والباطل وبين الرزانه والخفة وبين الظلمة والضياء وبين الكرامة والدولة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله تعالى والغفلة وبين الرضا والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحكمة والحمق قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس في العقل وسائر العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يروى ان الريح حملت كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام وجعلت تسير به فلاح لسليمان بلد فأمر الريح ان تحطه فرأى على باب البلد مكتوبا اجرة اجتهاد يوم درهم والحسن والجمال في يوم أجرته مائة دينار وعلم ساعة واحدة لا تحصى قيمته وجميع الاشياء منوطة بالعلم والعلم أسير الرأى والتدبير والرأى مع العقل توأمان ومن اعطاه الله سبحانه وتعالى العقل فقد أتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر

ان كنت من اصل جوهر منسوب

في الحسن او يوسف فتى يعقوب

الفأرة فهي المرأة السراقة التي تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخباه في بيوت جيرانها وتسرق منه حنطته واسبابه وتعطيه للغزالات واما التي لها عادة الطير فهي التي تدور طول نهارها وتقول لزوجها اين تمضي ولا شك انك ما تريدني وانك تحب غيري ولست معي مستقيما ولا علي مشفقا واما التي لها عادة الثعلب فانها التي يخرج زوجها من البيت ومهماراته في البيت تمرضت وتعللت واذا دخل زوجها فتحت عليه الخصومة وابتدأته بالنقار وتقول له تركتني في البيت وحيدة مريضة واما التي لها عادة الغنمة فهي المباركة الرحيمة كالغنمة التي كل شئ فيها منفعة وكذلك

المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على بعلها وجيرانها وقرائبها واهل بيتها واولادها المطيعة لربها تعالى فصل واعلم ان ديانة المراة وسترها نعمة من نعم الله تعالى على عبده وهيهات ان يقدر على المراة العفيفة طامع كما جاء فى الحكاية حكاية يقال انه ارادرجل فاسق ان يكابر امراة عفيفة بالحرام فقال لها امضى واغلقى ابواب الدار جميعها واحكمى اغلاقها فمضت المراة ثم عادت فقالت قد غلقت سائر الابواب واوثقت اغلاقها سوى باب واحد فقال اى الابواب ذلك الباب فقالت تلك الابواب التى بيننا وبين الخلق قد اغلقتها وقد بقى الباب الذى بينى وبين الخالق جلت عظمته ماقدرت عليه ولا استطعت ان اغلقه وهو بحاله مفتوح فوقع فى نفس هذا الرجل من هذا الكلام الهيبة فاخلص لله التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الاعلى

(حكاية مثلها)

يقال انه كان رجل علوى بسمرقند بعض الايام قائما على باب داره فاجتازت عليه امراة ذات حسن وجمال وكان الدرب خاليا فقبض العلوى على زند المرأة وجذبها الى داخل الدار وهم ان يفسد معها فقالت له المرأة اسألك مسئلة اجبنى عنها وافعل مابدالك فقال اذكرى ماتريدين فقالت اذا انت وطئتنى حراما وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون ذلك الولد علويا او خبيثا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت المراة لا شك انك انت من خبوث العلويين ولولم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذ فخجل العلوى فى الحال ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه لا يعود ينظر الى امراة محرمة عليه نظر فساد وينبغى ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه وناسه فان الحمية من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل الاجنبى ان يسمع دق المراة الاجنبية بالهاون واذا دق

رجل أجنبي باب الدار فلا يحل للمرأة ان تجيبه بلين وسهولة لان قلوب الرجال تتعلق بأقل الاشياء وأكثرها وان كان لا بد للمرأة أن تجيبه فلتضع أصبعها في فمها ولتجيبه ليصير صوتها شبيها بصوت العجايز ولا يجوز للنساء أن ينظرن الى الرجال الاجانب ولو كان المنظور أعمى وجاء في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الى بيت عايشة رضي الله عنها فرأى عبد الله ابن ام مكتوم قاعدا عند النساء فقال يا عائشة رضي الله عنها لا يحل للمراة ان تقعد عند غير ذي محرم فقالت يا رسول الله انه اعمى فقال ان كان لا يراك فانك ترينه

(حكاية)

يقال ان الحسن البصري رحمة الله عليه قصد زيارة رابعة العدوية رضي الله عنها في جماعة من اصحابه فلما وصلوا الباب قالوا اتأذنين لنا في الدخول فقالت تمهلوا ساعة وجعلت الكسا بينها وبينهم سترا واذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فاجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا فقالت امرت بذلك في قوله تعالى فاسئلوهن من وراء حجاب وواجب على الرجل ان لا ينظر الى امرأة اجنبية بحال فانه قبل ان يجازى به في الآخرة يجازى به في الدنيا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل الماء الى دار رجل صايغ مدة ثلثين سنة وكان لذلك الصايغ زوجة في نهاية الحسن والجمال والظرف والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء السقا على عادته يوما وقلب الماء في الباب وكانت المرأة قائلة في وسط الدار فدنا منها السقا واخذ بيدها ولواها وفركها وعصرها ثم

مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أريد ان تعرفني اى
شئ صنعت اليوم في السوق لم يكن لله تعالى فيه رضاء فقال
الرجل ماصنعت شيأ فقالت المرأة ان لم تصدق وتعرفني ما اقعد
في بيتك ولا تعود تراني ولا اراك فقال اعلمي ان في يومنا هذا أتت
امرأة الى دكاني فصنعت لها سوارا من ذهب فأخرجت المرأة يدها
ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن
زندها فتذكرت هذا المثنوى * في ساعدها سوار تبر وارى كالنار
يلوح فوق ماء جاري * هل يخطر في هواجس الافكار * ماء وله
منطقة من ناري * ثم اخذت يدها فعصرتها ولويتها فقالت المرأة
الله اكبر لم فعلت مثل هذا الاجرم ذلك الرجل الذى كان يدخل الينا
منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدى وعصرها ولواها
فقال الرجل الامان ايتها المرأة انا تايب مما بدا مني فاجعليني في حل
فقالت المراة الله المسؤل ان يجعل عاقبة امرنا الى خير فلما كان من
الغد جاء السقا والقى نفسه بين يدى المراة وتمرغ على التراب وقال
ياصاحبة المنزل اجعليني في حل فان الشيطان آضلني واغواني
فقالت المراة في حال سبيلك فانما ذلك الخطاء لم يكن منك وانما
ذلك من الشيخ الذى في الدكان فاقتص الله منه في دار الدنيا
فكذلك ينبغي ان تكون المراة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحد
وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بفاطمة وعائشة
رضى الله عنهما لتكون من خواتين الخلد كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كانت فاطمة رضى الله عنها تطحن كثيرا ابالجاروشة حتى ادمت
اناملها فشكت ذلك في بعض الايام الى اميرالمؤمنين على بن ابى
طالب رضى الله عنه فقال لها على قولى لابيك ليبتاع لك خادمة
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يارسول الله انى

مفتقرة الى خادمة تعينني فى اشغالى وتحمل عنى بعض اثقالى فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمك يا فاطمة ماهو خير لك من كل خادم وخادمة واعزمن سبع سموات وسبع ارضين فقالت علمنى يارسول الله فقال لها اذا اردت النوم فقولى قبل منامك ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى الخبر انهم لم يكن لهم فى البيت الا كساء كانوا اذا غطوا رؤسهم انكشفت ارجلهم وفى الليلة التى كانت فاطمة عروسا وزفت الى على بن ابى طالب رضى الله عنه كانت تحتها جلد شاة كانا نائمين عليه وما كان لفاطمة رضى الله عنها من متاع البيت سوى كسا ومخدة من ليف لاجرم ينادى يوم القيامة مناديا أهل الموقف غضوا ابصاركم حتى تعبر سيدة النسا فاطمة الزهرا والمراة تعز عند زوجها وتنمو محبتها فى قلبه باكرامها له وطاعتها الامره وقت خلوته بها واكتنانها فى بيته ومجامعته لها وبحفظها منافعه واجتنابها مضاره وتزينها له واكتنانها فى بيته وقلة خروجها من خدرها وبأن تكون عبقة النشر مجملة الامر وبأن تحفظ وقت طعامه وشرابه ومهما علمت انه يشتهيه اصطنعته له بطلاقة وبشر لا تكلفه حاجة مستحيلة وان لا تكون لجوجة وان تستر نفسها عند منامها وبان تحفظ سر زوجها فى غيبته وحضوره

(وقال صاحب الكتاب)

واجب على الرجال ان يؤدوا حق النساء العورات وان يحفظوبهن من وجه الترحيم والاحسان والمداراة ومن احب ان يكون مشفقا على زوجته متحديا عليها رحيما بها فليذكر لها عشرة اشياء من احوالها لينصفها بها اولها ان المرأة لا تقدر ان تطلقه وهو قادر على طلاقها متى شاء وانها لا تقدر ان

تأخذ شيأ بغير اذنه وهو قادر على ذلك وانها مادمت فى حبالك
لا تقدر على زوج سواك وانت تقدر على التزوج عليها وانها لا يجوز
ان تخرج من البيت بغير اذنك وانت يجوز لك وانها لا يمكنها ان
تعرى وانت يمكنك وانها تخافك وانت لا تخافها وانها تقنع منك
بطلاقة وجهك فى وجهها وبالكلام اللين وانت لا ترضى بجميع
افعالها وانها تفارق امها واباها وجميع اقاربها لاجلك وانت
لا تفارق احدا لاجلها وتقدر ان تتسرى وتختص بالجوارى دونها
وانها تخدمك دائما وانت لا تخدمها وانها تتلف نفسها اذا كنت
مريضا وانت لا تغتم لها ولو ماتت فلهذه الوجوه التى ذكرناها يجب
على العقلاء ان يكونوا رحماء للنساء ولا يظلموهن ولا يجوروا عليهن
فان المرأة اسيرة الرجل ويجب على الرجال مداراة النساء لسبب
نقص عقولهن وبسبب نقص عقولهن لا يجوز لاحد ان يتدبر
بآرائهن ولا يلتفت الى اقوالهن ومن اعتمد على ارائهن والتفت
الى اقوالهن ودبر نفسه بمشورتهن خسر كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان الملك خسرو بن برويز كان يحب اكل السمك وكان يوما
جالسا فى المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة
واهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأعجبته فامر له باربعة آلاف
درهم فقالت شيرين بئس ما صنعت فقال الملك لم فقالت
لانك اذا اعطيت بعد هذا لاحد من حشمك هذا القدر قال قد
اعطانى مثل عطية الصياد فقال لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك
ان يرجعوا فى هباتهم وقد فات الامر فقالت شيرين انا ادبر هذا
الحال فقال وكيف ذاك فقالت تدعوا الصياد وتقول له هذه
السمكة ذكر هى ام أنثى فان قال ذكر فقل انما طلبت انثى وان قال
انثى قل انما طلبت ذكرا فنودى الصياد فعاد وكان الصياد ذا ذكاء

وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض
وقال له هذه السمكه خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه
وامر له باربعة آلاف درهم فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه
ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم
بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن
كاهله وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه
فقالت شيرين لخسرو ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته سقط
منه درهم واحد فالقى عن كاهله ثمانية الاف درهم وانحنى على
الدرهم فأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه غلام من غلمان
الملك فحرد خسرو من ذلك وقال صدقت ياشيرين ثم امر بأعادة
الصياد وقال له ياساقط الهمة لست بأنسان وضعت هذا المال عن
عنقك لاجل درهم واحد واسفت ان تتركه فى مكانه فقبل الصياد
الارض وقال اطال الله بقاك ايها الملك انى لم ارفع ذلك الدرهم
لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على وجهه صورة الملك
وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت ان ياتى احد بغير علم يضع
عليه قدميه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك واكون أنا المؤاخذ
بهذا فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة
آلاف درهم فعاد الصياد ومعه اثنى عشر آلاف درهم وامر خسرو
مناديا ينادى لا يتدبر احد برأى النساء فانه من تدبر برأيهن وائتمر
بأمرهن خسر درهمه ثلاثة

(فصل)

قال صاحب الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة
لا تصح بغير رأى ولا تدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب
على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء وطلاقهن
وليزوج البنت لا سيما اذا بلغت لئلا يقع فى العار والعيب ومرض

القلب وعلى الحقيقة كل ماينال الرجال من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الـ
رحمن او يخشى من الشيطان
اللص لولا هن لم يك بائعا
للروح منه بارخص الاثمان
وبهن قرّع آدم مع يوسف
فى محكم التنزيل بالعصيان
ولذاك هاروت ببابل منكس
ومعلق بالشعر جدا عانى
مجنون عامر هام من حب النساء
فى السند دبا عجايب النسوان
كل البلا منهن يأتى والوفا
منهن لا يأتى مع الازمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنعم بطبع التبر المسبوك * وجعل فائدته عامة للرعايا والملوك * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انال بها النعيم المقيم * وأشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الفضل العظيم والخير العميم * صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه وأزواجه وأنصاره واحبابه آمين أمّا بعد فقد تم طبع هذا الكتاب النفيس بالمطبعه الكاستليه * وملتزمه حضرة استاذ الاساتيذ الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ابعد الله عنه كل بليه * وذلك يوم الثلاثا المبارك الموافق لاربعة وعشرين يوما مضت من شهر ذى الحجة الذى هو من شهور سنة ألف ومائتين سبعة وسبعين من هجرته صلى الله عليه وسلم والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا والله اعلم